قِصَّة وعِبْرَة

قِصَّة وعِبْرَة

جمعها

مسير ماطر الظفيري

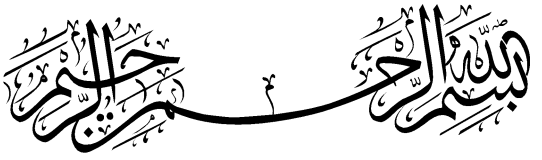
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، والصلاة والسلام على المعلم بالقصة والموعظة الحسنة، القائل في أكثر من حديث صح عنه: «**كان فيمن كان قبلكم**»[(١)]، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد، فإن القصة تحدث تأثيرًا في النفوس، وشوقًا للسماع، ورغبة في الاستمرار، وحبًا لمعرفة النتيجة، ما لا يحدثه غيرها من المواعظ وهذا أمر مشاهد محسوس بين الناس، ويعلمه من يعظ ويعلم ويدرب، قال السعدي رحمه الله في تفسير: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيات، فإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الحكمة من القصص في الآيات واضحة، فهو يتلى على الناس لكي يؤمنوا، فإن كانوا مؤمنين في الأصل فهو لتثبيت إيمانهم وزيادته[(٣)].

لذا قمت بجمع بعض القصص التي تحث على أخلاق دعانا لها ديننا الحنيف، وهي مسطرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، قصدت من وراء ذلك إيجاد جو أسري إيماني بين الوالدين وأولادهما، استشعارًا مني بأهمية دور الوالدين نحو توجيه أولادهما إلى كل خلق يحبه الله ﷻ ورسوله ﷺ، وهذه

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، سورة الأعراف آية: ١٧٦.

(٣) تفسير سورة القصص للشيخ ابن عثيمين، ص٧.

القصص أخي القارئ متنوعة حدثت في زمن النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، وأوردت معها فوائد متعلقة بالمفهوم الذي نستفيده من القصة لا بنص القصة ، وهذه القصص قصيرة مع فوائدها بحيث لا تملل قارئها وسامعها ، ولا تأخذ من الوقت شيئا ، سائلا الله تعالىٰ أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه العظيم إنه جواد كريم .

ووفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضىٰ .

احتسبوا أعمالكم

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فوضعت يدي عليهِ فوجدت حرّه بين يدي فوق اللحاف فقلت: يا رسول الله ما أشدها عليك؟ قال: «**إنا كذلك يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر**» قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء**» قلت: يا رسول الله ثم من؟ قال: «**ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**»(١).

في هذا الحديث ينبهنا ﷺ إلى خلق عظيم وهو خلق الاحتساب، والاحتساب هو طلب الأجر من الله تعالى، وقد حث ﷺ على هذا الخلق فقال: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وقال: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وقال: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

فإذا صام العبد: إيمانا بالله تعالى، واحتسابا بثواب الله ﷻ، فإن الله تعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه(٣).

والاحتساب طريق موصل إلى محبة الله تعالى، وهو دليل كمال الإيمان

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٢٤)، وانظر السلسلة الصحيحة (١٤٤).
(٢) كلها متفق عليها.
(٣) ابن عثيمين: شرح رياض الصالحين، (٥/٢٧٢) باب وجوب صوم رمضان.

وحسن الإسلام، والاحتساب في الطاعات يجعلها خالصة لوجه الله تعالىٰ، وأما في المكاره وعند وقوع البلاء فإنه يضاعف الأجر، وهو يبعد صاحبه عن شبهة الرياء ويزيد من ثقته بربه ﷻ.

يقول الله ﷻ حاثا علىٰ الاحتساب: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالىٰ ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل[1].

عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: دَمِيَتْ إصبع رسول الله ﷺ في بعض تلك المشاهد ـ يقصد في أحد الغزوات ـ فقال عليه السلام:

هل أنت إلا إصبعٌ دَميتِ ❦ وفي سبيل الله ما لَقيتِ[2]

وعن أنس رضي الله عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلىٰ النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرىٰ ترىٰ ما أصنع، فقال: «**ويحك أوهبلت أوجنة واحدة هي إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس**»[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، النساء آية ١٤٤.

(٢) البخاري ومسلم واللفظ له (١٧٩٦).

(٣) رواه البخاري (٣٩٨٢).

وقام رجل وقال يا رسول الله: أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله تُكفّر عني خطاياي، فقال له رسول الله ﷺ: «**نعم، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبلٌ غيرُ مدبر**»، ثم قال رسول الله ﷺ كيف قلت؟ قال: أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله أتُكفّر عني خطاياي، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم وأنت صابر محتسب مقبلٌ غيرُ مدبر إلا الدين، فإن جبريلَ عليه السلام قال لي ذلك**»(١).

إن الاحتساب لا يكون فقط في العبادات بل حتىٰ في العادات إذا نواها المسلم لله تعالىٰ فإنه يؤجر عليها، قال رسول الله ﷺ: «**إن المسلم إذا أنفق علىٰ أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة**»(٢).

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أيها الناس احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته(٣).

فالاحتساب يجعل العادة عبادة بإذن الله تعالىٰ، يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: المؤمن يُثاب علىٰ ما يقصد به وجه الله، من أكل وشرب ولباس ونكاح، وشفاء غيظه لقهر عدوه في الجهاد في سبيل الله، ولذة علمه وإيمانه وعبادته وغير ذَلِك(٥).

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٥).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٢).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء في الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوىٰ (١/٤٨٤).

(٤) رواه البخاري (٤٣٤٤).

(٥) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/١٥١)، فصل اللذة مذمومة أو محمودة .

فكل ما تقصد به وجه الله من أقوالك وأعمالك يا عبد الله تثاب عليه بإذن الله ﷻ.

اللهم اجعلنا من المحتسبين يا رب العالمين.

اللهم ارحمني ومحمدًا !

عن أبي هريرة ﵁ قال: قَامَ رَسولُ اللهِ ﷺ في صَلَاةٍ وقُمْنَا معهُ، فَقَالَ أعْرَابِيٌّ وهو في الصَّلَاةِ: اللهُمَّ ارْحَمْنِي ومُحَمَّدًا، ولَا تَرْحَمْ معنَا أحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النبيُّ ﷺ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «**لَقَدْ حَجَّرْتَ واسِعًا**». يُرِيدُ رَحْمَةَ اللهِ[1]. أي: ضيَّقْتَ وخصَّصْتَ ما هو عامٌّ مِن فَضلِ الله سبحانه وجُودِه ورحمتِه الَّتي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ، فإنَّ اللهَ سبحانه يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال ابن حجر ﵀ عن الأعرابي أنه هو: الذي بال في المسجد، وأنه ذو الخويصرة اليماني، وقيل: الأقرع بن حابس[2].

ولا يهمنا من هو، ولكنه دليل على جهله بأحكام الشريعة الإسلامية.

ولنعلم جميعا بأن رحمة الله تعالى تسع حتى العصاة: قال ﷺ: «**أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد ادلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها، فغفر لها**»[3].

وعَن أبي طويلٍ شَطَبٍ الممدودِ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ أنَّهُ أتى النَّبيَّ ﷺ فقالَ: أرأيتَ مَن عمل الذنوبَ كلَّها، ولم يتركْ منها شيئًا، وهو في ذلك لم يترك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها، فهل لذلك من توبةٍ؟ قال: «**فهل أسلمتَ؟**» قال: أما

(١) رواه البخاري (٦٠١٠).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب رحمة الناس والبهائم (١٠/٤٥٣).
(٣) رواه مسلم (٢٢٤٥).

أنا فأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنك رسولُ اللهِ قال: «**تفعل الخيراتِ، وتترك السيئاتِ، فيجعلهنَّ اللهُ لك خيراتٍ كلِّهنَّ**» قال: وغَدَراتي وفَجَراتي؟ قال: «**نعم**» قال: اللهُ أكبرُ، فما زال يُكبِّرُ حتىٰ تَوارَىٰ[1]. ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

ورحمة الله ﷻ قريبة من المؤمنين: عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**»[2].

وحذر ﷺ فقال: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[3].

ذلك: لأن الرحمة في الخلق رقة القلب، ورقته علامة الإيمان، ومن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا يرزق الرقة شقي[4].

ونحن مأمورون بالدعاء لإخواننا لا الدعاء بحرمانهم من رحمة الله تعالىٰ: قال ابن بطال ﷺ: أنكر ـ ﷺ ـ علىٰ الأعرابي لكونه بخل برحمة الله علىٰ خلقه، وقد أثنىٰ الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠][5].

بعد هذا الموقف يذهب الأعرابي أمام الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أجمعين ويبول في زاوية المسجد، والمسجد كان من تراب، فأراد صحابة

---

(١) صحيح الترغيب: (٣١٦٤).
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي وحسنه (١٩٢٣).
(٤) ذكره الطيبي، نقلا عن فيض القدير للمناوي (٥١٩/٦) حديث (٩٨٧٠).
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب رحمة الناس والبهائم (٤٥٣/١٠).

النبي ﷺ ضربه ومنعه، فقال لهم ﷺ: دَعُوهُ، وأَهْرِيقُوا علَىٰ بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِن مَاءٍ ـ أوْ سَجْلًا مِن مَاءٍ ـ فإنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»(١).

وهذا دليل علىٰ سعة رحمة رسول الله ﷺ التي بعث بها للناس كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: فانظر إلىٰ الحكمة في معاملة الجاهل، هذا رجل يبول في أشرف بقعة علىٰ الأرض بعد المسجد الحرام، وأمرهم النبي ﷺ أن يتركوه حتىٰ يقضي بوله ثم كلمه بهذا اللطف عليه الصلاة والسلام(٢).

قال ﷺ: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ جُزْءًا، وأَنْزَلَ في الأرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِنْ ذلكَ الجُزْءِ يَتَراحَمُ الخَلْقُ، حتَّىٰ تَرْفَعَ الفَرَسُ حافِرَها عن ولَدِها، خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ**»(٣).

وقال: «**مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ**»(٤).

وقال الأستاذ سيد قطب رحمه الله: "إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت وإنها الدعوة للأوبة. دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال. دعوتهم إلىٰ الأمل والرجاء والثقة بعفو الله. إن الله رحيم بعباده وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق

---

(١) رواه البخاري (٢٢٠).

(٢) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب، رقم الشريط (٣٣٧) هل يحمد الله إذا عطس في الصلاة؟.

(٣) رواه البخاري (٦٠٠٠).

(٤) رواه البخاري (٦٠١٣).

ويجلب عليهم بخيله ورجله ، وأنه جاد كل الجد في عمله الخبيث! ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناء واه وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا أفلت من يده الحبل الذي يربطه والعروة التي تشده وأن ما ركب في كيانه من وظائف ومن ميول ومن شهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن فيشط به هنا أو هناك ويوقعه في المعصية وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم. يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون ويوسع له في الرحمة ، ولا يأخذه بمعصية حتىٰ يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خطاه علىٰ الصراط ، وبعد أن يلج في المعصية ويسرف في الذنب ويحسب أنه قد طرد وانتهىٰ أمره ولم يعد يقبل ولا يستقبل في هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط يسمع نداء الرحمة الندي اللطيف: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ونستعين الله عليهم !

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي حُسَيْل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما تريده، ما نريده ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: «**انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»[1].

الاستعانة: هي طلب العون من الله، أي توكل عليه والجأ إليه.

قال الشيخ السعدي ﷺ: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك[2].

وهي عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، قال ﷺ: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**».

والأمور التي يطلب العون فيها نوعان: منها ما لا يقدر عليه إلا الله فهذا لا تجوز الاستعانة فيه إلا بالله كمغفرة الذنوب، والنجاة من النار، والتوفيق للإيمان، وصلاح الأولاد، وتيسير الأمور. ومنها ما يقدر عليه المخلوق، كإعانة الإنسان في حمله على دابته، أو حمل متاعه عليها كما في الحديث: «**وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه...**» الحديث[3]، وكدلالة

(١) رواه مسلم (١٧٨٧).
(٢) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، سورة الفاتحة.
(٣) رواه البخاري: (٢٧٠٧)، ومسلم: (٨٠٠٩).

الإنسان على الطريق، ومن ذلك التعاون على البر والتقوى، ويدخل في ذلك التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر(١).

قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وإنْ أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٢).

والاستعانة بالله تكون ولو على الشيء اليسير: في الحديث القدسي: «**يا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**»(٣).

عائشة رضي الله عنها تقول: سلوا الله كل شيء حتى الشسع فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر(٤).

ولا تعجب بنفسك وقدراتك وتنس الاستعانة: فإن بعض الناس ينسى اللجوء والاستعانة بالله ﷻ ويقدم عليها واسطته في تنفيذ معاملته أو اعتماده على جاهه وقدرته، وهذا من الخلان المبين والعياذ بالله.

قال ابن رجب رحمه الله: وأما الاستعانة بالله ﷻ دون غيره من الخلق، فلأن العبد عاجزٌ عن الاستقلال بجَلْب مصالحه ودفع مضارِّه، ولا مُعين له على مصالح

(١) الشيخ عبد الرحمن البراك، فتوى: طلب العون من غير الله تعالى، موقع طريق الإسلام.
(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٣) رواه مسلم (٢٥٧٧).
(٤) رواه أبويعلى (٨/٤٤) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٥٠): رجاله رجال الصحيح.

دينه ودنياه إلا الله ﷻ ، فمَن أعانه الله فهو المعان ، ومَن خذله الله فهو المخذول ، وهذا تحقيق قول: لا حول ولا قوة إلا بالله[١].

وقال الشيخ السعدي ﷺ في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية ، والنجاة من جميع الشرور ، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة ، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله ﷺ مقصودا بها وجه الله. فبهذين الأمرين تكون عبادة ، وذكر (الاستعانة) بعد (العبادة) مع دخولها فيها ، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله ، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر ، واجتناب النواهي[٢].

والاستعانة دواء لمرض الكبر: قال ابن القيم ﷺ: إن القلب يعرض له مرضان عظيمان ، إن لم يتداركهما العبد ترامیا به إلى التلف ولا بد. وهما الرياء ، والكبر. فدواء الرياء بـ(إياك نعبد) ودواء الكبر بـ(إياك نستعين).

وكثيرا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: (إياك نعبد) تدفع الرياء ، (وإياك نستعين) تدفع الكبرياء.

فإذا عوفي من مرض الرياء بـ(إياك نعبد) ومن مرض الكبرياء والعجب بـ(إياك نستعين) ومن مرض الضلال والجهل بـ(اهدنا الصراط المستقيم) عوفي من أمراضه وأسقامه ، ورفل في أثواب العافية ، وتمت عليه النعمة[٣].

---

(١) جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ، ص: (٢٥٧).
(٢) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ، الفاتحة.
(٣) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (١/٧٨).

وطلب العون من الله تعالىٰ هي وصية المصطفىٰ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي علىٰ ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ**»(١).

ولنحرص علىٰ الكنز الذي أبلغنا عنه ﷺ، وهو كلمة: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهي كلمة الاستعانة، قال ﷺ: «**يا عَبْدَ اللهِ بنَ قَيْسٍ**» قُلتُ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: «**ألَا أدُلُّكَ علَىٰ كَلِمَةٍ مِن كَنْزٍ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ؟**» قُلتُ: بَلَىٰ يا رَسولَ اللهِ، فَدَاكَ أبِي وأُمِّي، قالَ: «**لا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ**»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله شارحا لكلمة (لاحول ولا قوة إلا بالله): لاحول ولا قوة إلا بالله فهو الذي بيده الحول كله والقوة كلها، فالحول والقوة التي يُرجىٰ لأجلهما المخلوق ويُخاف إنما هما لله وبيده في الحقيقة، فكيف يُخاف ويُرجىٰ من لا حول له ولا قوة، بل خوف المخلوق ورجاؤه أحد أسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه، فإنه علىٰ قدر خوفك من غير الله يُسلط عليك، وعلىٰ قدر رجائك لغيره يكون الحرمان، وهذا حال الخلق أجمعه وإن ذهب عن أكثرهم علما وحالًا، فما شاء الله كان ولابد، وما لم يشأ لم يكن ولو اتفقت عليه الخليقة(٣).

(١) رواه أبوداود (١٥٢٢).
(٢) رواه البخاري (٤٢٠٥).
(٣) الفوائد لابن قيم الجوزية، ص: (٦٩).

فخذ بحقي يا رحمان من ولدي !

عن الحسن بن علي ﷺ قال: بينا أنا أطوف مع أبي حول البيت الحرام في ليلة ظلماء وقد رقدت العيون وهدأت الأصوات إذ سمع أبي هاتفًا يهتف بصوت حزين شجي وهو يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظُّلَم ❁ يا كاشف الضر والبلوىٰ مع الألم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ❁ أدعو وعينك يا قيوم لم تنم
هب لي بجودك فضل العفو عن جُرُمي ❁ يا من إليه أشار الخلق في الحرم
إن كان عفوكَ لا يدركْه ذو سرف ❁ فمن يجود علىٰ العاصين بالكرم

قال: فقال أبي: يا بني! أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟ الحقه فلعل أن تأتيني به، فخرجت أسعىٰ حول البيت أطلبه فلم أجده حتىٰ انتهيت إلىٰ المقام وإذا هو قائم يصلي فقلت: أجب ابن عم رسول الله ﷺ فأوجز في صلاته واتبعني فأتيت أبي فقلت: هذا الرجل يا أبت! فقال له أبي: ممن الرجل؟ قال: من العرب قال: وما اسمك؟ قال: منازل بن لاحق قال: وما شأنك وما قصتك؟ قال: وما قصة من أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه فهو مرتطم في بحر الخطايا.

فقال له أبي: علي ذلك فاشرح لي خبرك. قال: كنت شابًّا علىٰ اللهو والطرب لا أفيق عنه وكان لي والد يعظني كثيرًا ويقول: يا بني! احذر هفوات الشباب وعثراته فإن لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألح علي بالموعظة ألححت عليه بالضرب، فلما كان يوم من الأيام ألح علي بالموعظة

فأوجعته ضربًا فحلف بالله مجتهدًا ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة ويدعو علي، فخرج حتىٰ انتهىٰ إلىٰ البيت فتعلق بأستار الكعبة وأنشأ يقول:

يا من إليه أتىٰ الحُجاج قد قطعوا ❁ عرض المهامِهِ من قرب ومن بُعد
إني أتيتك يا من لا يُخَيّبُ من ❁ يدعوه مبتهلًا بالواحد الصمد
هذا منازلُ لا يرتدُّ عن عَقَقي ❁ فخذ بحقي يا رحمان من ولدي
وشُلَّ منه بحول منك جانبه ❁ يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: فوالله ما استتم كلامه حتىٰ نزل بي ما ترىٰ، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس قال: فأُبت ورجعت، ولم أزل أترضاه وأخضع له وأسأله العفو عني إلىٰ أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعا علي، قال: فحملته علىٰ ناقة عشراء وخرجت أقفو أثره حتىٰ إذا صرنا بوادي الأراك طار طائر من شجرة فنفرت الناقة، فرمت به بين أحجار، فرضخت رأسه، فمات. فدفنته هناك، وأقبلت آيسًا، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعيير أني لا أُعرف إلا بالمأخوذ بعقوق والديه.

فقال له أبي: أبشر فقد أتاك الغوث فصلىٰ ركعتين ثم أمره فكشف عن شقه بيده، ودعا له مرات يرددهن، فعاد صحيحًا كما كان! وقال له أبي: لولا أنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك.

قال الحسن: وكان أبي يقول لنا: احذروا دعاء الوالدين! فإن في دعائهما النماء والانجبار والاستئصال والبوار[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

(١) الرقة والبكاء للمقدسي ص (٤٠٥) وما بعدها.

قال السعدي رحمه الله: أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر.

عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**» قال ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١)، قال القرطبي في تفسير الآية: فأخبر ـ ﷺ ـ أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «**رِضا الربِّ تعالى في رضا الوالدَينِ، وسَخطُ اللهِ تعالى في سَخطِ الوالدَينِ**»(٢).

وعقوق الوالدين من الكبائر: جاءَ أعْرابِيٌّ إلى النبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما الكَبائِرُ؟ قالَ: «**الإشْراكُ باللهِ**» قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: «**ثُمَّ عُقُوقُ الوالِدَيْنِ**» قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: «**اليَمِينُ الغَمُوسُ**» قُلتُ: وما اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قالَ: «**الذي يَقْتَطِعُ مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هو فيها كاذِبٌ**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَغِمَ أنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُهُ**» قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: «**مَن أدْرَكَ والِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٥٢٧).
(٢) صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٠٣).
(٣) رواه البخاري (٦٩٢٠).
(٤) رواه مسلم (٢٥٥١).

وقد نهانا الله تعالىٰ أن نؤذيهما حتىٰ بأقل الكلمات فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي لا تسمعهما قولا سيئا حتىٰ ولا التأفيف الذي هو أدنىٰ مراتب القول السيئ (ولا تنهرهما) أي: ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله: (ولا تنهرهما) أي لا تنفض يدك علىٰ والديك.

ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: (وقل لهما قولا كريما) أي: لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم(١).

الولد لا يستطيع أن يجازي والده إلا في حالة واحدة، ذكرها ﷺ بقوله: «**لا يَجْزِي ولَدٌ والِدًا، إلَّا أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فيُعْتِقَهُ**»(٢). ولنحذر جميعا فكما ندين ندان.

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.

(٢) رواه مسلم (١٥١٠).

لا أرزأ أحدًا بعدك شيئا !

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ فأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فأعْطَانِي، ثُمَّ قالَ لِي: «**يا حَكِيمُ، إنَّ هذا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فمَن أَخَذَهُ بسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ له فِيهِ، ومَن أَخَذَهُ بإشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ له فِيهِ، وكانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ ولَا يَشْبَعُ، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**»، قالَ حَكِيمٌ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، لا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شيئًا حتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ العَطَاءَ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ منه شيئًا، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فأبَى أَنْ يَقْبَلَ، فَقالَ: يا مَعْشَرَ المسْلِمِينَ إنِّي أَعْرِضُ عليه حَقَّهُ الذي قَسَمَ اللهُ له مِن هذا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ شيئًا بَعْدَ النبيِّ ﷺ حتَّى تُوُفِّيَ[1].

بسخاوة نفس: بغَيرِ إلْحاحٍ ولا طَمَعٍ ولا حِرْصٍ، ولا إكراهٍ أو إحراجٍ للمُعطِي، **بإشراف نفس**: بإلحاحٍ وتَطلُّعٍ لِمَا في أيدِي غيرِه، وشِدَّةِ حِرْصٍ على تَحصِيلِه، **أرزأ**: آخذ من أحد شيئا أو أسأل أحدا شيئا.

* المال من فتن الحياة الدنيا التي ينبغي أن يصون المسلم نفسه عن الحرص عليه، ولا يطلبه بغير ما أحل الله، وهو حلو في مذاقه خضر في مرآه، والمرء محاسب على ماله، قال رسول الله ﷺ: «**لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ، وعن عِلمِهِ فيمَ فعلَ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ**

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري (٣١٤٣).

وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ»[1].

* السؤال جائز عند الحاجة فقط: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث يا أبا بكر كلهن حق: ليس عبد يظلم بمظلمة فيغضي ابتغاء وجه الله، إلا أعز الله بها نصرة، وليس عبد يفتح باب عطية، يبتغي وجه الله، أو صلة إلا زاده الله بها كثرة، وليس عبد يفتح باب مسألة يبتغي بها كثرة، إلا زاده الله بها قلة**»[2].

* السائل إذا ألحف جاز للمسؤول وعظه وإرشاده، «**اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لايُسْتَجَابُ لَهَا**»[3].

واستَعاذَ مِنَ النَّفسِ الَّتي لا تَشْبَعُ لأنَّها تَكونُ مُتكالِبَةً على الحُطامِ مُتَجَرِّئَةً على المالِ الحَرامِ غَيرَ قانِعَةٍ بِما يَكفيها مِنَ الرِّزقِ، فلا تَزالُ في تَعَبِ الدُّنيا وعُقوبَةٍ في الآخِرَةِ[4].

* وحذر الإسلام من هذه الظاهرة وجعل من سأل مع الغنى إنما يسأل جمرًا، فاستقلّ أو استكثر، يقول ﷺ: «**لا تزال المسألة بأحدهم حتى يلقى اللهَ وليس في وجهه مزعةُ لحم**»[5]، ويقول ﷺ: «**من سأل الناسَ أموالَهم تكثّرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقلَّ أو ليستكثر**»[6]، ويقول ﷺ: «**ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا**

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤١٧).
(٢) رواه الطبراني في الأوسط وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج شرح السنة برقم: ٣٥٨٦، يغضي: يتجاوز عن الأمر.
(٣) رواه مسلم (٢٧٢٢).
(٤) موقع درر السنية (شرح الحديث).
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه مسلم (١٠٤١).

فتحَ اللهُ عليْهِ بابَ فقرٍ»[1]، وجاء قبيصة بن مخارق الهلالي للنبي ﷺ يسأله فقال النبي ﷺ: «**يا قبيصة، أقِم عندنا حتىٰ تأتيَنا الصدقة فنأمرَ لك بها**»، ثم قال: «**يا قبيصة، إنَّ المسألة لا تحلّ إلا لثلاثة: رجل تحمَّل حمالة فحلّت له المسألة حتىٰ يصيبَها ثم يمسِك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت مالَه فحلَّت له المسألةُ حتىٰ يجد قوامًا من عيش أو سدادًا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتىٰ يقوم ثلاثةٌ من ذوي الحِجىٰ من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة، فحلّت له المسألة حتىٰ يصيبَ قوامًا من عيش، وما سوىٰ ذلك ـ يا قبيصة ـ سحتٌ يأكله صاحبُه**»[2].

❋ والأخذ مع سخاوة النفس يحصل معه أجر الزهد، والبركة في الرزق: بورك له فيه.

❋ ذم الاستكثار من المال والشره: عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ وَهو يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قالَ: «**يقولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قالَ: وَهلْ لَكَ، يا ابْنَ آدَمَ مِن مَالِكَ إلَّا ما أَكَلْتَ فأفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فأمْضَيْتَ؟**»[3].

❋ رغب الإسلام بالقناعة: قال رسول الله ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بما آتَاهُ**»[4].

العبد حرٌ ما قنع ❋ والحر عبدٌ ما طمع

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥) واللفظ له، وأحمد (١٨٠٦٠).

(٢) رواه مسلم (١٠٤٤) وأبو داود وغيرهما.

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٨).

(٤) رواه مسلم (١٠٥٤).

وقال آخر:

أطعـت مطـامعي فاسـتعبدتني ❦ ولـو أنـي قنعـت لكنـت حـرًا

❋ اليد المعطية خير عند الله من اليد السائلة: قال رسول الله ﷺ: «**الأيدي ثلاثةٌ فَيدُ اللهِ العُليا ويدُ المُعطي الَّتي تَليها ويدُ السَّائلِ السُّفلَىٰ فأعطِ الفضلَ ولا تعجَزْ عن نفسِكَ**»(١).

«يَدُ اللهِ العُليَا»: لأنَّه الْمُعطِي والرَّزَّاقُ لكلِّ العبادِ علىٰ الحقيقةِ، للغَنِيِّ وللفَقِيرِ، ومَهْمَا بلَغ عطاءُ أيِّ أحدٍ فعطاءُ اللهِ فوقَ عطائِه.

والثَّانِيَةُ: «يَدُ المعطِي الَّتِي تَلِيهَا»، أي: الَّتِي تَلِي يدُ الله فِي الإنفاقِ والعَطاءِ، فلها مكانَتُها بِمَا تُنفِقُه.

والثَّالِثَةُ: «يَدُ السَّائِلِ السُّفلَىٰ»، أي: اليَدُ الَّتِي تَسأَلُ حاجَتَها النَّاسَ، وَهِيَ مَوْضِعُ ذَمٍّ لِسُؤالِها هذا.

«فأَعْطِ الفَضْلَ»، أي: أَنفِقْ ما زَادَ علىٰ حاجَتِكَ، «ولا تَعجِزْ عن نَفسِكَ»، أي: ولا تُنفِقْ إنفاقًا يَجعَلُك تَعجِزُ فِي الإنفاقِ علىٰ نفسِك بَعْدَ ذَلِكَ ويُلْجِئُكَ لسُؤالِ النَّاسِ(٢).

(١) رواه أبو داود وأحمد (١٦٤٩)، وأحمد (١٥٩٣١).

(٢) من موقع درر السنية (شرح الحديث).

لا كبر سنك !

كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ فَرَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ فَقَالَ: «**آنْتِ هِيَهْ، لَقَدْ كَبِرْتِ لَا كَبِرَ سِنُّكِ**»، فَرَجَعَتْ الْيَتِيمَةُ إِلَىٰ أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، وقَالَتْ لها: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللهِ ﷺ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي، فَالْآنَ لَا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قالَتْ قَرْنِي، فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً حَتَّىٰ لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ما لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟!**»، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَدَعَوْتَ عَلَىٰ يَتِيمَتِي ؟، قَالَ: «**وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ؟!**»، قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَىٰ رَبِّي أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَىٰ رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَىٰ كَمَا يَرْضَىٰ الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

* النبي ﷺ دعا ربه ﷻ أن يجعل استعجاله في غضبه علىٰ مسلم أو مسلمة أو دعوته عليه طهورا وزكاة وقربة له تقربه لله تعالىٰ.

* وقال رسول الله ﷺ: «**التَّأَنِّي من اللهِ والعجَلَةُ من الشيطانِ**»(٢)، وصية منه ﷺ لنا جميعا أن لا نستعجل، وأن نتأنىٰ في أمور دنيانا، فالعجلة من الشيطان

(١) رواه مسلم (٢٦٠٣).

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني: (١٧٩٥).

إلا في أمر الآخرة، وعنه ﷺ أنه قال: «**التُّؤَدَةُ في كل شيءٍ إلا في عملِ الآخرة**»(١).

* ها هو شهر الخيرات والبركات فلنستعجل في تحصيل ما نستطيع منه، عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يا علي! ثلاث لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت لها كفؤا**»(٢). أي: المرأة العزبة إذا وجدت لها كفؤا فلا تمتنع ولتستعجل بالموافقة.

* قال العلماء: العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله ﷺ: إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب(٣). فإن في التأخير آفات، بل تعجل فيها.

* قال ﷻ على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]، أي: الذي عجلني إليك يا رب طلبا لقربك ومسارعة في رضاك، وشوقا إليك(٤).

* وقد عاتب المولى ﷻ الصحابة على استبطاء خشوع قلوبهم لذكره فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم(٥).

* لنتب إلى الله جميعا ولتخشع قلوبنا لكلامه ﷻ، وليكن لكتابه سبحانه

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني: (١٧٩٤).
(٢) رواه الترمذي (١٧١) وقال: هذا حديث غريب حسن، وحسنه ابن حجر (إتحاف المهرة ١١/٥٨٦) حديث رقم: (١).
(٣) العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.
(٤) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي.
(٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

أثرًا في سلوكنا وحياتنا، ولنستعجل بهذه التوبة.

* من العجلة التي نهانا الله عنها الدعاء على النفس أو الولد أو المال لذلك حذرنا تعالى فقال: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عن عجلة الإنسان، ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر أي: بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١، تفسير ابن كثير]، قال ﷺ: «**لا تَدْعُوا علَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا علَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[1].

* في جانب الخصومة والسب والشتم والطلاق لا تعجل: قال العلماء: أكثر الناس لا ينظرون في العواقب، فكم من مُخاصمٍ، سبَّ، وشتم، وطلَّقَ، فلما أفاق ندم[2].

* الاستعجال بالنصر: إن من يستعجل نصر الله ﷻ لابد أن يعلم:

ـ أن التدافع بين الحق والباطل سنة إلهية مستمرة إلى قيام الساعة.

ـ وأنه لا بد أن يصبر المؤمن ويثبت على دينه حتى لو أدى لترك بعض ما يريده من أجل درء مفسدة عظمى في حق المسلمين.

ـ ولابد أن يتيقن المسلم من نصر الله تعالى لدينه وإعزازه لكلمته، ولا يتزعزع

(١) رواه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي: (١١/٢٢٠).

هذا اليقين مهما علا الباطل وأهله.

ـ وأن يعلم المسلم أن التغيير مشروط بتغيير النفوس كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فـ"يغيروا ما بأنفسهم من المعاصي إلىٰ الطاعات، ومن التعلق بغير الله والاعتماد عليه إلىٰ صدق اللجوء إلىٰ الله والتوكل عليه، ومن البذل في سبيل الشيطان إلىٰ البذل في سبيله سبحانه، ومن موالاة الكافرين والمنافقين إلىٰ موالاة المؤمنين والمصلحين، ومن إقامة الميزان علىٰ العصبيات والقوميات والوطنيات إلىٰ العودة إلىٰ رابطة الإيمان والتقوىٰ، ومن هموذ العواطف وموت الإيمان ومحارم الله تنتهك إلىٰ الغيرة علىٰ دين الله والتأثر لانتهاك حرماته كما قال ﷺ: «**إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم عليه**»[1].

(١) تأملات دعوية للدكتور عبدالله الشيخ، بتصرف ص (١٤٣ ـ ١٤٥)، والحديث رواه البخاري ومسلم واللفظ له (٢٧٦١).

وتلك الأيام نداولها بين الناس !

في غزوة أحد: قالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النبيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قالَ: أَفِي القَوْمِ ابنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قالَ: أَفِي القَوْمِ ابنُ الخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إلىٰ أَصْحَابِهِ فَقالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَما مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقالَ: كَذَبْتَ واللهِ يا عَدُوَّ اللهِ، إنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وقدْ بَقِيَ لكَ ما يَسُوءُكَ، قالَ: يَوْمٌ بيَومِ بَدْرٍ، والحَرْبُ سِجَالٌ، إنَّكُمْ سَتَجِدُونَ في القَوْمِ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بهَا ولَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قالَ النبيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوا له**»، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: «**قُولوا: اللهُ أَعْلَىٰ وأَجَلُّ**»، قالَ: إنَّ لَنَا العُزَّىٰ ولَا عُزَّىٰ لَكُمْ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: «**أَلَا تُجِيبُوا له**»، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ما نَقُولُ؟ قالَ: «**قُولوا اللهُ مَوْلَانَا، ولَا مَوْلَىٰ لَكُمْ**»[1].

وفي الغزوة أنزلت: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال البغوي رحمه الله: فيوم لهم ويوم عليهم، أديل المسلمون علىٰ المشركين

(١) رواه البخاري (٣٠٣٩)، المثلة: التمثيل بالقتلىٰ وكانت العرب تعدها نقيصة، وهو حرام في ديننا، قال قتادة: بلَغَنا أن النبي ﷺ بَعْدَ ذلكَ كان يَحُثُّ علىٰ الصدقة ويَنْهَىٰ عنِ المُثْلَةِ. رواه البخاري (٤١٩٢).

يوم بدر حتىٰ قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتىٰ جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسًا وسبعين[1].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرىٰ؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا[2].

من حكمة ذلك والله أعلم: حتىٰ لا يشعر المسلمون بالغرور لو كانوا دائما هم المنتصرين، ومراجعة النفس وإصلاح ما فسد منها، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ويقول ﷺ لخباب بن الأرت رضي الله عنه عندما جاءه ومن معه يسألون النبي ﷺ أن يدعو الله أن ينصرهم وأن تكون لهم العزة والمنعة إذ كانوا يعذبون من كفار قريش فقال لهم ﷺ: «**واللهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمْرُ، حتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلَّا اللهَ، والذِّئْبَ علَىٰ غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[3].

هذه هي الدنيا تتقلب بمن فيها، يوم لك ويوم عليك، فالإنسان بين صحة ومرض، وحياة وموت، وجوع وشبع، وغنىٰ وفقر، وسعادة وشقاوة، وهزيمة وانتصار.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: السَّعِيدُ مَن وُعِظَ بغَيْرِهِ[4].

---

(١) معالم التنزيل للإمام البغوي [آل عمران: ١٤٠].
(٢) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي [آل عمران: ١٤٠].
(٣) رواه البخاري (٦٩٤٣).
(٤) رواه مسلم (٢٦٤٥).

بلال بن رباح ﷺ ينقلب من عبد حبشي لا قيمة له في نظر المشركين إلىٰ راق علىٰ ظهر الكعبة في وجود أشراف قريش وساداتها وهم ينظرون إليه ولا يملكون إلا النظر، ويؤذن علىٰ الكعبة في فتح مكة.

قال أبو البقاء الرندي ﷺ في قصيدته المشهورة[1]:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ ❁ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ
هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ ❁ مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ
وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلىٰ أَحَدٍ ❁ وَلا يَدُومُ عَلىٰ حالٍ لَها شانُ

إلىٰ أن قال:

أَينَ الملوكُ ذَوي التيجانِ مِن يَمَنٍ ❁ وَأَينَ مِنهُم أَكالِيلٌ وَتيجَانُ
وَأَينَ ما شادَهُ شَدّادُ في إِرَمٍ ❁ وَأينَ ما ساسَه في الفُرسِ ساسانُ
وَأَينَ ما حازَهُ قارونُ من ذَهَبٍ ❁ وَأَينَ عادٌ وَشدّادٌ وَقَحطانُ
أَتىٰ عَلىٰ الكُلِّ أَمرٌ لا مَرَدّ لَهُ ❁ حَتّىٰ قَضوا فَكَأنّ القَوم ما كانُوا

الإنسان لا يرضىٰ بحاله! قال الشاعر[2]:

صغيرُ يطلب الكبرا ❁ وشيخٌ وَدَّ لو صغرا
وخالٍ يشتهي عملًا ❁ وذو عملٍ به ضجَرا
وربُّ المالِ في تعَبٍ ❁ وفي تعَبٍ من افتقَرا

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للشيخ أحمد التلمساني (٦/٢٤٣).
(٢) وحي الأربعين لمحمود العقاد ـ خواطر في شئون الناس ص (٢٥).

ويشـــقى المـــرءُ منهزمًـــا ❁ ولا يرتـــــاح منتصِـــــرا

❁ وقال الشاعر كذلك:

إذا كـــان يؤذيـــك حـــر المصـــيف ❁ ويـــبس الخريـــف وبـــرد الشـــتا
ويلهيـــك حســـن زمـــان الربيـــع ❁ فأخـذك للعلـم قـل لـي: متـى[1]؟!

النبي ﷺ ينبهنا إلى مسألة مهمة في تغير الأحوال فيقول: «**إنَّ لكلِّ شيءٍ شِرَّةٍ ولكلِّ شِرَّةٍ فَترةً، فإن كان صاحبُها سدَّد وقارَبَ فارجوهُ، وإن أُشيرَ إليهِ بالأصابعِ فلا تعدُّوهُ**»[2].

وفي رواية ثانية: «**فمَن كانت فَتْرتُه إلى سُنَّتي فقد اهتَدى، ومَن كانت فَترتُه إلى غيرِ ذلك فقد هلَك**»[3]، وسُنَّةُ النَّبيِّ ﷺ هي الاقتصادُ والتَّوسُّطُ، مع المداوَمةِ والإخلاصِ للهِ وعدَمِ الرِّياءِ والسُّمعةِ.

ومعنى الحديث: إنَّ لكلِّ شيءٍ: أي: جميعِ الأشياءِ والأمورِ؛ **شِرَّةً**: أي: نَشاطًا وشدَّةً، وحِرصًا ورغبةً في أوَّلِها، **ولكلِّ شِرَّةٍ**: أي: لكلِّ نَشاطٍ ورغبةٍ، **فَتْرةً**: أي: ضعفًا وخُمولًا وسكونًا في آخِرِه.

فإنْ كان صاحِبُها: أي: صاحِبُ الشِّرَّةِ والنَّشاطِ والرَّغبةِ.

سَدَّد: أي: لَزِم السَّدادَ وهو التَّوسُّطُ في الأعمالِ.

وقارَب: أي: اقتَرَب مِن فِعْلِ الأكمَلِ والأفضَلِ، بأَنِ اقتَصَد فلم يَغْلُ، ولم

(١) قيمة الزمن عند العلماء للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص (١١٦).
(٢) رواه الترمذي (٢٤٥٣).
(٣) صحيح الترغيب والترهيب للألباني: (٥٦).

يُقصِّرْ، وسلَك الطَّريقَ المستَقيمَ، واجتَنب جانِبَيْ إفراطِ الشِّرَّةِ وتَفْريطِ الفَترَةِ.

فارْجُوه: أي: أَمِّلوا له نجاحَ أمْرِه وتمامَ ما دخَل فيه، والفوزَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ.

وإنْ: كان صاحِبُ الشِّرَّةِ اجتَهَد وبالَغ في العَمَلِ وصارَ مَشهورًا، حتَّىٰ **أشيرَ إليه بالأصابعِ**؛ لِشُهرتِه وانتشارِ صيتِه، **فلا تَعُدُّوه:** أي: لا تَحْسُبوه مِن الصَّالحين؛ لأنَّه مُراءٍ بعمَلِه لا يُريدُ وجهَ اللهِ ﷻ، بل همُّه حبُّ الرِّئاسةِ والجاهِ في قلوبِ النَّاسِ، والشُّهرةُ بالعبادةِ والزُّهدِ.

وفي غزوة أحد أنزلت: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤][(١)].

قال الشيخ السعدي ﵀: فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية وآمال رفيعة من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر علىٰ نيل عزه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته، فسبحان من فاوت بين العباد وفرق بينهم بعلمه وحكمته[(٢)].

قال الإمام ابن كثير ﵀: أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد، وهم لا يرجون شيئا

(١) ذكره الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره.
(٢) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي [النساء: ١٠٤].

من ذلك، فأنتم أولىٰ بالجهاد منهم، وأشد رغبة في إقامة كلمة الله وإعلائها[1].

ومن قصص تغير الزمان قصة المعتمد ابن عباد واعتماد الرُّمَيْكِيَّة:

اعتماد الرُّمَيْكِيَّة (٤٨٨ هـ/١٠٩٥م)، كانت جارية لرميك بن حجاج فنسبت إليه، عندما ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره، وقد زردت الريح النهر، فقال ابن عباد لابن عمار: أجز:

صنع الريح من الماء زرد

فأطال ابن عمار الفكرة، فقالت امرأة من الغسالات:

أي درع لقتال لو جمد

فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به، مع عجز ابن عمار، ونظر إليها فإذا هي صورة حسنة، فأعجبته فسألها: أذات زوج هي؟ فقالت: لا، فتزوجها، وقد كان لقب المعتمد بالأصل هو "المؤَيَّد بالله"، لكن بعد زواجه من الرميكية غيَّر لقبه إلىٰ المعتمد علىٰ الله تيمُّنًا باسمها "اعتماد".

وولدت له أولاده الملوك النجباء ﷺ، وهم: عباد الملقب بالمأمون، وعبيد الله الملقب بالرشيد، ويزيد الملقب بالراضي، والمؤتمن، وبثينة الشاعرة.

والرُّمَيْكِيَّة صاحبة (يوم الطين) وقد رأت بعض نساء البادية بإشبيليّة يبعن اللبن في القرب وهنّ ماشيات في الطين، فاشتهت أن تفعل فعلهن، فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد، وصيّرها جميعا طينا في قصره وجعل لها قربا وحبالا من إبريسم، فخاضت هي وبناتها وجواريها في ذلك الطين.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [النساء: ١٠٤].

وغاضبها في بعض الأيام، فأقسمت أنها لم تر منه خيرًا قط، فقال: ولا يوم الطين؟! فاستحيت واعتذرت، وهذا مصداق قول نبينا ﷺ في حق النساء: «**أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ**» قيلَ: أَيَكْفُرْنَ باللهِ؟ قالَ: «**يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لو أَحْسَنْتَ إلى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شيئًا، قالَتْ: ما رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**»[1].

ولعل المعتمد أشار في أبياته الرائية إلى هذه القضية حيث قال في بناته:

يطأن في الطين والأقدامُ حافيةٌ ❦ كأنها لم تطأْ مسكًا وكافورا

ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى ما جرت به عادة الملوك من ذر الطيب في قصورهم حتى يطؤوه بأقدامهم، زيادة في التنعم.

وفي عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١م) أغار يوسف بن تاشفين على إشبيلية وسقطت إشبيلية عاصمة بني عبَّاد في أيدي المرابطين، واقتيدت الرميكية مع زوجها المعتمد بعد أن قتل ولديهما المأمون والراضي، أسرى إلى المغرب، حيث أقاموا أولاً لمدة وجيزة في طنجة، ثم مِكْناسة، وأخيرًا استقروا في أغمات. ورافقته الرميكية طوال ما تبقَّى من حياته. توفيت الرميكية قبل زوجها المعتمد بقليل، وقد دُفِنَت بجانب زوجها في ضريحهما بمدينة أغمات.

قال المعتمد بن عباد أثناء أسره عندما رأى بناته في العيد وقد أتينه يزرنه، وكن يغزلن بالأجرة في أغمات، فرآهن في أطمار رثة، فصدعن قلبه، فقال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورًا ❦ فسائك العيد في أغمات مأسورًا

(١) رواه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧).

ترىٰ بناتك في الأطمار جائعةً ❁ يغزلن للناس ما يملكن قطميرًا
برزن نحوك للتسليم خاشعةً ❁ أبصارهنَّ حسيرات مكاسيرًا
يطأن في الطين والأقدامُ حافيةً ❁ كأنها لم تطأ مِسكًا وكافورًا
لا خد إلا تشكىٰ الجدبَ ظاهرُهُ ❁ وليس إلا مع الأنفاس ممطورا
أفطرت في العيد لا عادت مساءتُه ❁ فكان فطرك للأكباد تفطيرا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلًا ❁ فردّك الدهر منهيًا ومأمورًا
من بات بعدك في مُلكٍ يُسرّ به ❁ فإنَّما بات في الأحلام مغرورًا[1]

(١) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للتلمساني: (٥/٣٤٧) و(٦/٤٨ ـ ٤٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/٦٤)، والأعلام لخير الدين الزركلي (١/٣٣٤) بتصرف.

واجعله هاديا مهديًا !

عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**اللهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**»(١).

* **ما حجبني**: أي ما منعني من الدخول بعد استئذاني عليه وذلك إكرامًا منه ﷺ لجرير لأنه من كبار قومه، وهذا ما تعلمناه من ديننا الحنيف أن نكرم الناس وننزلهم منازلهم، عن أَبي موسى ﷺ قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الْغَالي فِيهِ والجَافي عَنْهُ، وإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المقْسِطِ**»(٢).

وقَالَ رسولُ الله ﷺ: « **ليسَ منَّا من لَم يَرحَمْ صغيرَنا، ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا**»(٣).

عن عُروةَ ـ أو غَيرِه ـ أن أبا هُريرةَ ﷺ أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ: لِأَحَدِهِمَا مَا هَذَا مِنْكَ ؟، فَقَالَ أَبِي، فَقَالَ: (**لَا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ، وَلَا تمش أمامه، ولا تجلس قبله**)(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٠٢٠).

(٢) صحيح أَبُو داود (٤٨٤٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩٢٠)، وأحمد (٦٧٣٣) واللفظ له.

(٤) صحيح الأدب المفرد - بَابُ لَا يُسَمِّي الرَّجُلُ أَبَاهُ، وَلَا يَجْلِسُ قَبْلَهُ وَلَا يَمْشِي أمامه، حديث (٣٢/٤٤).

* **تبسم في وجهي**: عن أبي ذرٍّ ﷺ، قال: قال لي النَّبي ﷺ: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طَلْق**»(١).

أي بوجه ضاحك مستبشر، وذلك لما فيه من إيناس الأخ المؤمن، ودفع الإيحاش عنه، وجبر خاطره، وبذلك يحصل التَّأليف المطلوب بين المؤمنين(٢).

عن أبي ذر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة**»(٣).

قال ابن بطَّال ﷺ: فيه أنَّ لقاء النَّاس بالتَّبسُّم، وطلاقة الوجه، من أخلاق النُّبوة، وهو مناف للتكبُّر، وجالب للمودَّة(٤).

* **لا أَثْبُتُ عَلَىٰ الْخَيْلِ**: كان جرير يسقط من فوق ظهر الخيل ويخاف إن ركب عليها سقط.

* **فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي**: إنما ضرب بيده في صدره؛ لأن فيه القلب، وهو محل الثبات، وعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مثبت القلوب، ثبت قلبي علىٰ دينك**»، فقلت: يا نبي الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، «**إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء**»(٥).

* **اللهُمَّ ثَبِّتْهُ**: فلم يسقط بعد ذلك عن فرس كما في رواية البخاري.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢٦).
(٢) دليل الفالحين لابن علان: (٢/٣٥٦).
(٣) رواه الترمذي (١٩٥٦).
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/١٩٣).
(٥) رواه الترمذي (٢١٤٠).

* **وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**: قوله: **(هاديا)** أي: لغيره. **(مَهْدِيا)** أي: في نفسه.

الهداية نوعان: هداية إلهام وتوفيق، وهي من الله، وهداية دلالة وإرشاد وهي من الإنسان. والمطلوب من الإنسان هو النوع الثاني. قال سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

* **دعاء الأخ لأخيه مستحب: «ما مِن عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ، إلَّا قالَ المَلَكُ: وَلَكَ بمِثْلٍ»**[1].

* **وهو من الدعوات المستجابة بإن الله تعالىٰ: «دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّما دَعَا لأَخِيهِ بخَيْرٍ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بهِ: آمِينَ وَلَكَ بمِثْلٍ»**[2].

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٣).

فأعينوني بقوة

لقد مكن الله ـ ﷻ ـ لذي القرنين في الأرض، وآتاه من كل شيء سببا، فتوافرت وتهيأت أمامه أسباب القوة والنفوذ التي لم تتوافر لكثير غيره. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٨٤]، ومع ذلك لم يستغن ذو القرنين عن معونة الآخرين حينما أراد أن يقوم بعمل كبير، وإنجاز عظيم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٣ ـ ٩٤]، فصارحهم ذو القرنين بأن مثل هذا العمل الضخم يحتاج إلى التعاون ولا يتم دونه فقال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥].. الآيات، فماذا كانت نتيجة هذا التعاون العظيم؟ كانت نتيجته إتمام عمل عظيم، سد منيع، لا يستطيع مهاجموه أن يعلوا ظهره، ولا أن يحدثوا فيه خرقا.. والدرس الذي نخرج به أن التعاون إذا أخلص له أهلوه، وبذلوا فيه بصدق ما استطاعوا حقق لهم من النتائج ما يكفي ويشفي[1].

فأعينوني بقوة: ساعدوني بقوة[2].

ردما: أي: مانعا من عبورهم عليكم[3].

---

(١) الرائد للشيخ مازن الفريح: (١/٢٣٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير [الكهف: ٩٥].
(٣) تيسير الكريم الرحمن للشيخ لسعدي [الكهف: ٩٥].

من أهمية التعاون:

* أن الله يعين المتعاونين: قال ﷺ: «**وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ**»(١).

* ينزع الله الطاقات المادية والمعنوية التي يمتلكها بعض الناس إذا لم يبذلوها في عون إخوانهم: «**المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه**»(٢).

من صور التعاون:

* التعاون في الدلالة على الحق: قال ﷺ: «**المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه**»(٣)، وقال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: «**لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ**»(٤).

* التعاون في النصرة على الحق: قال ﷺ: «**انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا كيفَ أَنْصُرُهُ؟ قالَ: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ**»(٥).

وهذا أكبر دليل على منع أهل الفساد من فسادهم، فإن في ذلك تعاونا وحفاظا على المجتمع من الضياع.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) السلسلة الصحيحة للألباني (١٦٩٢).
(٣) رواه أبوداود (٤٩١٨) واللفظ له، والبزار (٨١٠٩).
(٤) رواه مسلم (٥٥).
(٥) رواه البخاري (٦٩٥٢).

* التعاون في تفريج الكربات: قال ﷺ: «**مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ**»(١).

ضوابط المعونة:

١ ـ أن يكون التعاون علىٰ الحق: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، قال ﷺ: «**من نصر قومَه علىٰ غيرِ الحقِّ، فهو كالبعيرِ الذي تردَّىٰ، فهو ينزعُ بذَنَبِه**»(٢). قال الحافظ المنذري: ومعنىٰ الحديث: أنه وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردىٰ في بئر فصار ينزع (أي يجر بذنبه) ولايقدر علىٰ الخلاص(٣).

٢ ـ أن يكون المعين عالما بمشروعية هذه الحاجة، فإن كانت حلالا أعان وإلا لا يعين علىٰ حرام، قال ابن حجر رحمه الله: وشرط الناصر أن يكون عالما بكون الفعل ظلما(٤).

٣ ـ أن لا يترتب علىٰ الإعانة مفسدة أكبر من مفسدة تركها.

٤ ـ أن لا يترتب علىٰ التعاون محذور شرعي: فالشفاعة صورة من صور التعاون ولكنها قد تؤدي إلىٰ محذور شرعي، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنَّ قُرَيْشًا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) رواه أبو داود (٥١١٧).
(٣) الترغيب والترهيب للمنذري (١٩٨/٣).
(٤) فتح الباري لابن حجر (٩٩/٥).

أَهَمَّتْهُمُ المرْأَةُ المخْزُومِيَّةُ الَّتي سَرَقَتْ، فَقالوا: مَن يُكَلِّمُ رَسولَ اللهِ ﷺ، ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلَّا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَكَلَّمَ رَسولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللهِ؟!**» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: «**يا أَيُّها النَّاسُ، إنَّما ضَلَّ مَن قَبْلَكُمْ، أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فيهم أقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللهِ، لو أنَّ فَاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»[1].

أو أن يشفع له ليأخذ حقا ليس من حقه!

(١) رواه البخاري (٤٣٠٤).

بئسما جزتها !

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال: أسرت امرأة من الأنصار، وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق، فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه، حتىٰ تنتهي إلىٰ العضباء، فلم ترغ. قال: وناقة منوقة. فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت. ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم. قال: ونذرت لله؛ إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء، ناقة رسول الله، فقالت: إنها نذرت؛ إن نجاها الله عليها لتنحرنها. فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له. فقال: «**سبحان الله! بئسما جزتها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد**»[1]. منوقة: أي مؤدبة.

أي بئس الجزاء الذي جزت المرأة للعضباء، والمخصوص بالذم نذرها يعني أنها جزت إحسان الناقة بالإساءة إليها؛ فإن الناقة تسببت لنجاة المرأة من الكفار فجزت بنذر أن تنحرها[2].

قال الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقد سئل ﷺ عن الإحسان فبين أنه أعلىٰ درجات الإيمان وعرفه لنا فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3].

---

(١) رواه مسلم (١٦٤١).

(٢) محمد الأمين الهرري في الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٥٠) واللفظ له، ومسلم (٩).

والإحسان في حق الخالق ـ ﷻ ـ أن تبني عبادتك على الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسول الله ﷺ، وكلما كنت أخلص وأتبع كنت أحسن[1].

والله ﷻ حثنا على الإحسان فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، ومدح نفسه سبحانه بإحسانه في خلقه فقال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ [السجدة: ٧]، وهو ﷻ مع المحسنين بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة قال جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، والمحسنون قريبون من رحمة الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وأخبرنا ﷺ بأن الإحسان يكون في كل شيء وليس مقتصرًا على العبادات فقال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شيءٍ**»[2]، فنُحسن عند مواجهة الملمات والصبر عليها، ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]، وعند مجاهدة النفس وكظم الغيظ أحسن، ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال ﷺ: «**مَن كَظَمَ غيظًا وهو قادرٌ على أن يَنْفِذَه دعاه اللهُ ﷻ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ حتى يُخَيِّرَه اللهُ مِن الحُورِ ما شاءَ**»[3].

وعند التحاور مع إخوانك في الله ﷻ أحسن، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [الإسراء: ٥٣]، وعند حصول خصومة وخلاف بينك وبين الآخرين أحسن، ﴿وَلَا تَسۡتَوِي

(١) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين رحمه الله (ص ٦٧).
(٢) رواه مسلم (١٩٥٥).
(٣) رواه أبو داود (٤٧٧٧) واللفظ له، والترمذي (٢٤٩٣).

ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت: ٣٤]، وعند معاملة اليتامىٰ والضعفاء أحسن، ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، في رد السلام علىٰ المسلمين أحسن، ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]، وفي الإنفاق أحسن ولا تسرف ولا تبخل، كما في قصة قارون حين قال له قومه: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص: ٧٧]، لكنه لم يحسن فماذا كان عقابه، قال ﷻ: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

قال ﷺ عن عدم الإحسان في الإنفاق والتكبر علىٰ الناس بالهيئة والمال: «**بيْنَما رَجُلٌ يَتبَخْتَرُ، يَمْشِي في بُرْدَيْهِ قدْ أعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللهُ به الأرْضَ، فَهو يَتَجَلْجَلُ فيها إلىٰ يَومِ القِيامَةِ**»(١).

فالذي يَقصدُ بلباسه الحَسنِ إظْهارَ نِعمةِ اللهِ عليه، مُستَحضِرًا لها، شاكِرًا عليها، غيرَ مُحتَقِرٍ لمن ليس له مِثلُه؛ لا يَضرُّهُ ما لَبِسَ مِن المباحاتِ، ولو كان في غايةِ النَّفاسةِ؛ ففي صَحيحِ مُسلِمٍ، عنِ ابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا يَدخُلُ الجنَّةَ مَن كان في قَلبِه مِثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبرٍ**». قال رَجلٌ: إنَّ الرَّجلَ يُحِبُّ أنْ يكونَ ثَوبُه حَسنًا، ونَعلُه حَسنةً. قال: «**إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبرُ بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ**». أي: رد الحق واحتقار الناس.

وأخيرًا: بشرنا ﷺ فقال: «**مَن أحسن فيما بقي، غُفِر له ما مضىٰ، ومَن أَسَاء**

(١) رواه مسلم (٢٠٨٨).

فيما بقي ، أُخِذ بما مضىٰ وما بقي»[1] .

فلنحرص يا عباد الله علىٰ الإحسان فيما تبقىٰ لنا من أعمار ، حتىٰ يغفر الله لنا ما مضىٰ ، اللهُمَّ اغْفِرْ لنا خَطِيئَاتنا وَجَهْلنا ، وإسْرَافنا في أَمْرِنا ، وَما أَنْتَ أَعْلَمُ به مِنّا ، اللهُمَّ اغْفِرْ لنا جِدِّنا وَهَزْلِنا ، وَخَطَئِنا وَعَمْدِنا ، وَكُلُّ ذلكَ عِندنا ، اللهُمَّ اغْفِرْ لنا ما قَدَّمْنا وَما أَخَّرْنا ، وَما أَسْرَرْنا وَما أَعْلَنّا ، وَما أَنْتَ أَعْلَمُ به مِنّا ، أَنْتَ المقَدِّمُ وَأَنْتَ المؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ علَىٰ كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

(١) صحيح التَّرغيب والترهيب للألباني: (٣١٥٦).

من يمنعك مني ؟!

عن جابر بن عبد الله ﷺ: أَنَّهُ غَزَا مع النبيِّ ﷺ، فأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ في وادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ في العِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، فَنَزَلَ النبيُّ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ بهَا سَيْفَهُ، ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وعِنْدَهُ رَجُلٌ وهو لا يَشْعُرُ به، فَقالَ النبيُّ ﷺ: «**إنَّ هذا اخْتَرَطَ سَيْفِي، فَقالَ: مَن يَمْنَعُكَ؟ قُلتُ: اللهُ، فَشَامَ السَّيْفَ، فَهَا هو ذَا جَالِسٌ**»، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ[1]. العضاة: شجر عظيم له شوك، فشام السيف: رد السيف في غمده.

❊ **حسن الظن من حسن العبادة:** عن أبي هريرة ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ حُسْنَ الظَّنِ بِاللهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللهِ**»[2].

❊ **من أحسن ظنه بالله آتاه الله إياه:** عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي**»[3]. وفي المسند عنه ﷺ، عن النبي ﷺ: «**إن الله ﷻ قال: أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظن بي خيرًا فله، وإن ظن شرًّا فله**».

والمعنىٰ: أعاملُه علىٰ حسب ظنه بي، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر[4].

---

(١) رواه البخاري (٢٩١٣).

(٢) رواه أحمد، والترمذي، وغيرهما. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ. انتهىٰ، وقد ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، وأما معنىٰ الحديث هذا، فصحيح، ولو لم يصح من حيث الإسناد.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٤) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للشيخ عبد الرحمن المباركفوري (٥٣/٧).

قال الشوكاني ﷺ: فيه ترغيب من الله لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها؛ فمن ظن به خيرًا أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته، وسوابغ عطيّاته.

ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى له هكذا، وهذا هو معنى كونه ﷻ عند ظن عبده(١).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: والذي لا إله غيرُه ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله ﷻ، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله ﷻ الظن إلا أعطاه الله ﷻ ظنَّه؛ ذلك بأنَّ الخيرَ في يده(٢).

* **حسن الظن بالله من مقتضيات التوحيد**: لأنه مبنيٌ على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وحسن التوكل عليه، فإذا تم العلم بذلك أثمر حسن الظن.

وقد ذم الله في كتابه طائفة من الناس أساءت الظن به سبحانه، وجعل سوء ظنهم من أبرز علامات نفاقهم وسوء طويتهم، فقال عن المنافقين حين تركوا النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه في غزوة أحد: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال عن المنافقين والمشركين: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ٦](٣).

* **ضابط إحسان الظن بالله**: قال ابن القيم ﷺ: وبالجملة فحسن الظن إنما

---

(١) تحفة الذاكرين للشوكاني ص (٢٦)، الباب الأول: في فضل الذكر والدعاء.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله، ما أعطي عبد مؤمن شيئا خيرا من حسن الظن بالله ﷻ والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله.

(٣) مقال: أنا عند ظن عبدي بي، الشبكة الإسلامية، الحديث الشريف، الأحاديث القدسية

يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتىٰ إحسان الظن[1].

وقال الحسن البصري: إن قوما ألهتهم الأماني حتىٰ خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي. وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣][2].

*** إذا ينبغي للمؤمن أن يحسن ظنه بالله في كل موطن وحال، ومن هذه المواطن:**

* **عند الشدائد والكرب:** فإنَّ الثلاثة الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في تبوك لم يُكشف عنهم ما بهم من كرب وضيق إلا بعدما أحسنوا الظن بربهم، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]. وتأمل في قوله: (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه)، فلما أحسنوا الظن بالله رزقهم الله إياه.

* **عند ضيق العيش:** عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقتُه، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشِكُ الله له برزق عاجل أو آجل**»[3]، وإنزالها بالله: أن توقن وتظن أن الله تعالىٰ يفرِّجُ

(١) الجواب الكافي لابن القيم، (ص ٧٦ ـ ٧٧).
(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [فصلت: ٢٣].
(٣) رواه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦) واللفظ له، وأحمد (٣٦٩٦).

عنك ويزيلها.

* **عند غلبة الدَّين:** عن عبدالله بن الزبير بن العوام ﷺ قال: لَمَّا وقَفَ الزُّبَيْرُ يَومَ الجَمَلِ دَعَانِي، فَقُمْتُ إلىٰ جَنْبِهِ فَقالَ: يا بُنَيِّ، إنَّه لا يُقْتَلُ اليومَ إلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وإنِّي لا أُرَانِي إلَّا سَأُقْتَلُ اليومَ مَظْلُومًا، وإنَّ مِن أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، ـ حتىٰ ـ قالَ عبدُ اللهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بدَيْنِهِ، ويقولُ: يا بُنَيِّ إنْ عَجَزْتَ عنْه في شيءٍ، فَاسْتَعِنْ عليه مَوْلَايَ، قالَ: فَوَاللهِ ما دَرَيْتُ ما أَرَادَ حتَّىٰ قُلتُ: يا أَبَةِ مَن مَوْلَاكَ؟ قالَ: اللهُ، قالَ: فَوَاللهِ ما وقَعْتُ في كُرْبَةٍ مِن دَيْنِهِ، إلَّا قُلتُ: يا مَوْلَىٰ الزُّبَيْرِ اقْضِ عنْه دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ[1].

* **عند الموت:** عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتَنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله** ﷻ»[2].

* **قصيدة رائعة في حسن الظن بالله لمحمد بن وهيب الحميري البصري البغدادي:**

وإنِّـي لأدعـو الله حتـىٰ كـأنَّني ❊ أرىٰ بجميـل الظـنِّ مـا الله فاعلُـهْ
أمُـدُّ يـدي فـي غيـر يـأسٍ لعلَّـه ❊ يجـود علـىٰ عـاصٍ كمثلـي يواصـلُهْ
وأقـرع أبـواب السـماوات راجيًـا ❊ عطـاءَ كـريمٍ قـطُّ مـا خـاب سـائلُهْ
ومنْ لـي سـوىٰ الـرحمن ربًـا وسـيّدًا ❊ ومـن غيـره أُبديـه مـا الغيـر جاهلُـهْ
وهـل لانكسـار العبـد إلَّا وليُّـهُ ❊ وقـد واربَ الأحـزانَ والهـمُّ قاتلُـهْ

(١) رواه البخاري (٣١٢٩).
(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧).

إذا سُـدَّتِ الأبـواب ألقيـتُ حـاجتي ❁ إلـىٰ مَالِـكِ الحاجـاتِ غُـرٌّ نوائلُـهْ
وإن جـارت الأحـوال آوت مطيتـي ❁ إلـىٰ ركنـه فاسـتبْدَرتْها شـمائلُهْ
لـه الخيـرُ منـه الخيـرُ والخيـرُ كُلُّـه ❁ إليـه وتزهـو فـي يديـه خمائلُـهْ
ومـا بـاء بالخُسـران إلَّا مُكـابرٌ ❁ أبـىٰ ، ثـم بـاءت بالرَّزايـا مسـائلُهْ
فيـا ليـت شـعري كيـف ينسـاه عاقـلٌ ❁ ونعمـاؤه تتـرىٰ وتتـرىٰ جمائلُـهْ
ويـا عجبًـا للمـرء سِـيقت صُـروفُهُ ❁ إلـىٰ غيـر ذي زرعٍ وسِـيقتْ قوافلُـهْ
ويـا سـاهرًا والليـل أضـناك طولُـهُ ❁ وأضناك ما أضناك في القلب شاغلُهْ
إلىٰ مَنْ يحوم الطَّرفُ يَمْنَىٰ ويَسْـرةً ❁ وربُّـكَ فـوق الكُـلِّ مـا خـابَ سـائله

الطخي وجهها !

عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: أتيت رسول الله ﷺ بخزيرة طبختها له فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها فقلت لها: كلي. فأبت. فقلت: لتأكلن أو لألطخن وجهك. فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فطليت بها وجهها. فضحك النبي ﷺ فوضع فخذه لها وقال لسودة: «**الطخي وجهها**»، فلطخت وجهي فضحك النبي ﷺ أيضا، فمر عمر فنادىٰ يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي ﷺ أنه سيدخل فقال لهما: «**قوما فاغسلا وجوهكما**»، قالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ إياه(١).

الخَزِيرَة: لَحْمٌ يُقَطَّع صغارا ويُصَبُّ عليه ماءٌ كَثِير فإذا نَضِج ذُرَّ عليه الدَّقيق، فإنْ لم يكُنْ فيها لحمٌ فهي عَصيدةٌ.

المزاح مشروع في دين الله تعالىٰ: عن أبي هريرة ﵁ قال: يا رسولَ اللهِ، إنك تُداعِبُنا! قال: «**إني لا أقولُ إلا حقًّا**»(٢).

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لحنظلة ﵁: «**وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ إنْ لو تَدُومُونَ علَىٰ ما تَكُونُونَ عِندِي، وفي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ علَىٰ فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»(٣). أي: ساعةً في الحُضورِ والذِّكْرِ،

---

(١) السلسلة الصحيحة (٣٦٣/٧).

(٢) رواه الترمذي (١٩٩٠) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٠).

وساعةً في مُعافَسةِ الأَولادِ والأَزْواجِ، وكَرَّرَها ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

كلُّ ما ورَد عن النَّبيِّ ﷺ مِن المزاحِ إنَّما هو خَفْضُ الجَناحِ للمُؤمنين وبَسْطُ الوجهِ وطلَبُ التَّودُّدِ معَهم، دونَ أن يُسقِطَ الهيبةَ والوَقارَ[1].

وقال الحسن البصري رحمه الله: ضحك المؤمن غفلة من قلبه[2]، والمقصود هنا الضحك المكروه.

وروىٰ الطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته. وكذا رواه البيهقي في شعب الإيمان.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: والمذموم منه أن يستغرق ضحكًا. انتهىٰ.

والمقصود بالضحك المذموم هو: ما صحبه صوت كالقهقهة، أما الضحك الذي يكون بصورة التبسم، فهذا محمود بل هو مأمور به في بعض المواطن، قال النبي ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»[3].

وفي مسند أحمد عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال: ما رأيت أحدًا كان أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ. وحسنه الأرناؤوط.

وفي سنن الترمذي عنه أيضًا قال: ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسمًا[4].

---

(١) موقع الدرر السنية شرح الحديث السابق.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ـ الأدب ـ ما ذكر في الضحك وكثرته (٩/١١٤).

(٣) رواه الترمذي (١٩٥٦) وقال: حسن غريب. وصححه الألباني.

(٤) رواه الترمذي في الشمائل (٢٢٩) وقال: هذا حديث غريب. وصححه الألباني في مختصره (١٩٤).

قال الإمام الغزالي في الإحياء: والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن، ولا يُسمع له صوت. انتهىٰ[1].

أنواع الناس في المزاح:

* مُفرّط فيه: عبوس لا يضحك وهو مخالف للسنة.

* فارط فيه: مُتَجَاوِزٌ لِلْحَدِّ الْمَعْقُولِ أصبحت سمة له وهذا مخالف أيضًا للسنة، وفي الحديث: «**لاَ تُكثروا الضَّحِكَ، فإنَّ كثرةَ الضَّحِكِ تميتُ القلبَ**»[2].

* ووسط بينهما لا إفراط ولا تفريط: بوسطيَّة واعتدال. وهو **هدي النبي ﷺ في الضحك:**

قال ابن القيم ﷺ: وكان جُلُّ ضحكه التبسم، بل كلُّه التبسم، فكان نهايةُ ضحكِه أن تبدوَ نواجِذُه.

وكان يضحكُ مما يُضحك منه، وهو مما يُتعجب من مثله ويُستغرب وقوعُه ويُستندر.

وللضحك أسباب عديدة، هذا أحدها.

والثاني: ضحِك الفرح، وهو أن يرىٰ ما يسرُّه أو يُباشره.

والثالث: ضحِكُ الغضب، وهو كثيرًا ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضبه، وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضبُ، وشعورُ نفسه بالقدرة علىٰ خصمه، وأنه في قبضته، وقد يكون ضحكُه لِمُلكه نفسه عند الغضب، وإعراضِه عمن

(١) موقع إسلام ويب رقم الفتوىٰ: (٣٠٤٢٣).
(٢) صحيح ابن ماجه (٣٤٠٠)

أغضبه، وعدم اكتراثه به. . . كما لم يكن ضحكه ـ ﷺ ـ بقهقهة[1].

الصحابة رضي الله عنهم كانوا يمزحون مع بعضهم: عن بكر بن عبد الله قال: كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون بالبطيخ فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال[2].

من ضوابط الضحك والمزاح:

١ ـ لاتكذب: قال ﷺ: «**ويلٌ للذي يحدِّثُ بالحديثِ ليُضحكَ به القومَ فيكذبُ ويلٌ له ويلٌ له**»[3].

٢ ـ لا تروع: قال ﷺ: «**لا يأْخذَنَّ أحدُكم متاعَ أخيهِ لاعبًا ولا جادًّا**»[4].

٣ ـ لا تتعرض للأعراض: «**كُلُّ المُسْلِمِ علَىٰ المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ**»[5].

٤ ـ لا تتلف المال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتطع مال امرئٍ مسلمٍ بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان**»[6].

٥ ـ لا تسخر: لا بالناس ولا بالشرع، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]، قال القرطبي رحمه الله في تفسير في هذه الآية: في الآية دليلٌ علىٰ منع الاستهزاء بدين الله ودينِ المسلمين ومَن يجب تعظيمه، وأنَّ ذلك

---

(١) زاد المعاد (١/١٨٢ ـ ١٨٣)، فصل: في هديه ﷺ في كلامه وسكوته وضحكه وبكائه.

(٢) رواه البخاري في الأدب، يتبادحون: يترامون.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أبوداود.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

جَهل، وصاحبه مستحقٌّ للوعيد، وليس المزاح من الاستهزاء بسبيلٍ، ألا ترىٰ أنَّ النَّبي ﷺ كان يمزح والأَئِمَّة بعده؟.

قال ابن عربي رحمه الله: ولا يُستعمل المزاح أيضًا في أحكام الدِّين؛ فإنَّه جهل، قال تعالىٰ مُخبرًا عن قصة البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، قال: معناه لا أمزح في أحكام الدِّين؛ فإنَّ ذلك فعل الجاهلين، ولكن اذبحوها، فستروا الحقيقة فيها.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

إذا الضابط: قال ابن القيم رحمه الله في كتابه: (إعلام الموقعين)[1]:

وحاصل الأمر أنَّ اللعب والهزل والمزاح في حقوق الله تعالىٰ غيرُ جائز، فيكون جِدُّ القولِ وهزلُهُ سواءً، بخلاف جانب العباد، ألا ترىٰ أنَّ النبي ﷺ كان يمزح مع الصحابةِ ويباسطهم؟ وأما مع ربِّه تعالىٰ فيَجِدُّ كُلَّ الجدِّ. اهـ.

المزاح والضحك سلاح ذو حدين:

قال النَّيْسَابُورِيُّ:

شَرُّ مِزَاحِ الْمَرْءِ لَا يُقَالُ ❁ وَخَيْرُهُ يَا صَاحِ لَا يُنَالُ
وَقَدْ يُقَالُ كَثْرَةُ الْمِزَاحِ ❁ مِنْ الْفَتَىٰ تَدْعُو إِلَىٰ التَّلَاحِ

(١) ٣/ ١٢٥.

إِنَّ الْمِـــزَاحَ بَـــدْؤُهُ حَـــلَاوَهْ ❁ لَكِنَّمَـــا آخِـــرُهُ عَـــدَاوَهْ
يَحْتَـــدُّ مِنْـــهُ الرَّجُـــلُ الشَّـــرِيفُ ❁ وَيَجْتَـــرِي بِسُـــخْفِهِ السَّـــخِيفُ

وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ:

خَـــلِّ جَنْبَيْـــكَ لِـــرَامٍ ❁ وَامْـــضِ عَنْـــهُ بِسَـــلَامِ
مُـــتْ بِـــدَاءِ الصَّـــمْتِ خَيْـــرٌ ❁ لَـــكَ مِـــنْ دَاءِ الْكَـــلَامِ
إِنَّمَـــا السَّـــالِمُ مَـــنْ أَلْجَـــمَ ❁ فَـــاهُ بِلِجَـــامِ
رُبَّمَـــا اسْـــتَفْتَحَ بِـــالْمَزْحِ ❁ مَغَـــالِيقَ الْحِمَـــامِ
وَالْمَنَايَـــا آكِـــلَاتٌ ❁ شَـــارِبَاتٌ لِلْأَنَـــامِ[1]

وقال بعض الحكماء: من كثر مزاحه زالت هيبته، ومن كثر خلافه طابت غيبته[2].

متىٰ تضحك؟ ومع من؟

لكل شخص وما يناسبه من المزاح، ولكل وقت وله مزاح يناسبه، فاختر الشخص المناسب والزمان المناسب، والمكان المناسب، وكما قيل: لكل مقام مقال.

أمثلة علىٰ مزاح النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين:

❁ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ ابْنٌ لأُمِّ سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ رُبَّمَا مَازَحَهُ إِذَا جَاءَ، فَدَخَلَ يَوْمًا يُمَازِحُهُ، فَوَجَدَهُ حَزِينًا، فَقَالَ: «**مَالِي أَرَىٰ أَبَا**

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٥٠٢.
(٢) المراح في المزاح لأبي البركات الغزي ١/١.

عُمَيْرٍ حَزِينًا ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاتَ نُغَرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِ: **«يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»**(١).

ـ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلا اسْتَحْمَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي حَامِلُكَ عَلَىٰ وَلَدِ نَاقَةٍ»**، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ نَاقَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ؟»**(٢).

ـ عنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا ذَا الأُذُنَيْنِ»**(٣).

ـ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ وَكَانَ دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لا يُبْصِرُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ لا يَأْلُو مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟** » فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا وَاللهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ**» أَوْ قَالَ: «**لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ**». [رواه البيهقي في الآداب].

ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يسير وحاد يحدو بنسائه فضحك رسول الله ﷺ، فإذا هو قد تنحىٰ بهن قال: فقال: «**يا أنجشة ويحك ارفق بالقوارير**»(٤).

---

(١) رواه البيهقي في الآداب.
(٢) رواه البيهقي في الآداب.
(٣) رواه البيهقي في الآداب.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له.

ومعنىٰ القوارير: النساء، وهي كلمة دعابة من الرسول ﷺ.

ـ عن الحسن رضي الله عنه قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال: «**يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز**»، فولت العجوز تبكي فقال: «**أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، فإن الله تعالىٰ يقول:** ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾»(١).

ـ عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنَّ أبا بكْرٍ خرَج تاجِرًا إلىٰ بُصْرَىٰ، ومعه نُعَيْمانُ وسُوَيْبِطُ بنُ حَرْمَلةَ، وكِلاهما بَدْريٌّ، وكان سُوَيْبِطٌ علىٰ الزَّادِ، فجاءَه نُعَيمانُ، فقالَ: أَطْعِمْني، فقال: لا، حتىٰ يأتيَ أبو بكْرٍ، وكان نُعَيمانُ رجُلًا مِضحاكًا مَزَّاحًا، فقال: لأَغِيظَنَّكَ، فذهَب إلىٰ ناسٍ جلَبوا ظَهْرًا، فقال: ابْتاعوا منِّي غُلامًا عربيًّا فارِهًا، وهو ذو لِسانٍ، ولعلَّه يقولُ: أنا حُرٌّ؛ فإن كنتُم تاركيه لذلك، فدَعوني، لا تُفسِدوا عليَّ غُلامي، فقالوا: بل نبْتاعُه منك بعشْرِ قلائِصَ. فأقبَلَ بها يَسوقُها، وأقبَلَ بالقومِ حتىٰ عَقَلَها، ثمَّ قال للقومِ: دونَكُم هو هذا، فجاءَ القومُ، فقالوا: قد اشترَيْناكَ. قال سُويْبِطٌ: هو كاذبٌ، أنا رجُلٌ حُرٌّ، فقالوا: قد أَخبرَنا خبَرَكَ، وطَرَحوا الحبْلَ في رَقبَتِه، فذهَبوا به، فجاء أبو بكْرٍ فأُخبِرَ، فذهَبَ هو وأصحابٌ له، فردُّوا القلائِصَ وأخَذوه، فضحِكَ منها النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه حَوْلًا. [رواه أحمد في مسنده، وضعفه شعيب الأرناؤوط].

(١) رواه الترمذي.

إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه !

كان عمرو بن الجموح سيدا من سادات بني سلمة ، وشريفا من أشرافهم ، وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب ، يقال له: مناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذه إلها تعظمه وتطهره ، فلما أسلم فتيان بني سلمة: معاذ بن جبل ، وابنه معاذ بن عمرو (بن الجموح) في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة ، وفيها عذر الناس ، منكسا على رأسه ، فإذا أصبح عمرو ، قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال: ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه. فإذا أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهره: ويطيبه ، ثم يعدون عليه إذا أمسى ، فيفعلون به مثل ذلك. فلما أكثروا عليه ، استخرجه من حيث ألقوه يوما ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو ، عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة ، فيها عذر من عذر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به.

فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلمه من أسلم من (رجال) قومه ، فأسلم برحمة الله ، وحسن

إسلامه. فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره، ويشكر الله تعالىٰ الذي أنقذه مما كان فيه من العمىٰ والضلالة:

والله لـو كُنـتَ إلهًـا لـم تكـن ❁ أنت وكَلبٌ وَسْطَ بئر في قَرَنْ (الحبل)
أف لمَلْقـاكَ إلهًـا مُسـتَدَنْ (ذليـل) ❁ الآن فتّشْناك عن سوء الغَبَن (السفه)
الحمـد لله العلـي ذي المـنن ❁ الواهـب الـرزاق ديـان الـدِّيَنْ
هـو الـذي أنقـذني مـن قبـل أن ❁ أكـون فـي ظلمـة قبـر مُـرْتهن
بأحمد المهدي النبي المرتهن[1].

قال السعدي رحمه الله: فقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل، عليهم الصلاة والسلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ فكانت هذه الرؤيا، مقدمة لما وصل إليه يوسف عليه السلام، من الارتفاع في الدينا والآخرة.

وهكذا إذا أراد الله أمرا من الأصول العظام، قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد علىٰ العبد من المشاق، ولطفا بعبده، وإحسانا إليه.

فأولها يعقوب، بأن الشمس: أمه، والقمر أبوه، والكواكب، إخوته.

وأنه ستنتقل به الأحول إلىٰ أن يصير إلىٰ حال يخضعون له، ويسجدون له، إكراما وإعظام، وأن ذلك لا يكون، إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه إياه، وإتمام نعمته عليه، بالعلم والعمل، والتمكين في الأرض.

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ص (٤٥٢ ـ ٤٥٣).

وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له، وصاروا تبعا له فيها ولهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾[1].

في غزوة بدر الكبرى: قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [الأنفال: ٤٣]، وكان الله قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عددًا قليلاً، فبشر بذلك أصحابه؛ فاطمأنت قلوبهم، وتثبتت أفئدتهم، ولو أراكهم الله إياهم كثيرًا فأخبرت بذلك أصحابك لفشلتم، ولتنازعتم في الأمر: فمنكم من يرى الإقدام على قتالهم، ومنكم من لا يرى ذلك، فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل[2].

قال مجاهد: أراه الله إياهم في منامه قليلا فأخبر النبي ـ ﷺ ـ أصحابه بذلك، فكان تثبيتا لهم[3].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِنَا يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَانِبِي: تَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: لَا بَلْ هُمْ مِائَةٌ، حَتَّى أَخَذْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَسَأَلْنَاهُ، قَالَ: كُنَّا أَلْفًا[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾ [الأنفال: ٤٢]، أي: لو تواعدتم مع قريش، ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم، أو: لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ

(١) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي، تفسير الآية.
(٢) السعدي: ٣٢٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم.
(٤) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ تفسير الطبري: (٥٧٢/١٣).

عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ أي: يموت من مات ببدر عن إعذار وإقامة الحجة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له[1].

والله هو مسبب الأسباب، أي جاعلها بحكمته أسبابا مفضية إلىٰ نتائجها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو سبحانه الحي الفعال لما يشاء العليم القدير الحكيم، الخبير الرحيم الودود، لا إله إلا هو، وكل ما سواه فقير إليه، وهو غني عما سواه، لا يكمل بغيره، ولا يحتاج إلىٰ سواه، ولا يستعين بغيره في فعل، ولا يبلغ العباد نفعه فينفعوه، ولا ضره فيضروه، بل هو خالق الأسباب والمسببات، وهو الذي يلهم عبده الدعاء، ثم يجيبه وييسر عليه العمل، ثم يثيبه ويلهمه التوبة، ويحبه ويفرح بتوبته، وهو الذي استعمل المؤمنين فيما يرضيه، ورضي عنهم، فلم يحتج في فعله لما يحبه ويرضاه إلىٰ سواه، بل هو الذي خلق حركات العباد التي يحبها ويرضاها، وهو الذي خلق ما لا يحبه ولا يرضاه من أعمالهم، لما له في ذلك من الحكمة التي يحبها ويرضاها ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠]، فلا إله إلا هو ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. انتهىٰ[2].

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان ﷺ، **في كتابه**: السنن الإلٰهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية (ص٢١): بفصله الأول الذي عنوانه: سنّة الله في الأسباب والمسببات: قانون السببية:

كل شيء بسبب: وقد دلّ القرآن الكريم علىٰ أن كل شيء يحدث بسبب،

---

(١) تفسير ابن جزي: ١/٣٤٥.

(٢) إسلام ويب، فتوىٰ: ٤٠٤٨٤٥.

سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد أو بالنبات أو بالحيوان أو بالإنسان، أو بالأجرام السماوية أو الظواهر الكونية المادية المختلفة.

فقانون السببية، أي ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها، هذا القانون عام شامل لكل ما في العالم، ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات. فمن الأسباب المادية قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾. ومن الأسباب المعنوية: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾. انتهىٰ.

يقول المنجد حفظه الله: هذه العلاقة التأثيرية: ليست علىٰ جهة الاستقلال، من السبب المؤثر، كما يقوله الطبائعيون، ونحوهم... بل هي مؤثرة: بما خلق الله عز وجل فيها من قوة التأثير. فإن شاء الله تعالىٰ سلبها هذه القوة، علىٰ خلاف الأصل الذي جرت، وتجري عليه، لحكمة له سبحانه، كما يخرق أمثال هذه العادات لأنبيائه، وأوليائه الصالحين، لحاجة بهم إلىٰ ذلك، أو إقامة لحجتهم علىٰ المعاندين، والمكذبين؛ فيلقىٰ إبراهيم عليه السلام في النار، ولا يحترق، ويقطع موسىٰ عليه السلام بجنده عُرض البحر، ولا يغرق، ونحو ذلك من أمور المعجزات والكرامات المعروفة.

وليس في نص الكتاب، ولا سنة النبي ﷺ: وصف هذه السنن بأنها لا تتبدل، ولا تتحول، ولا تتغير أبدا، ليس في شيء من النصوص ذلك الوصف، مضافا إلىٰ السنن الكونية، وقضايا الأسباب والمسببات، بل مرد ذلك كله إلىٰ مشيئة الله سبحانه.

ولذلك نحتاج إلىٰ الفرق بين: السنن الطبيعية والسنن الشرعية.

فسنة الله لا تتبدل، ولا تتحول، وهي التي أمر عباده بتدبرها، والانتفاع بها: هي سنته الشرعية الدينية؛ بنصر أنبيائه ورسله، ورفع أهل الإيمان علىٰ من خالفهم وعاداهم في الدنيا والآخرة. والانتقام ممن كذب رسله، وعاندهم، وعاداهم، وحاربهم.

وأما سنته الكونية، الطبيعية: فهي جارية، بقدر الله، وخلقه؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وإذا خرقها الله تعالىٰ، بقدرته، وحكمته، ومشيئته: فليس في ذلك إبطال لها، ولا إبطال لنواميس الكون، ولا خلف لسنة الله، بل بيان أن ذلك كله إنما يجري بقدر الله، وقدرته، وحكمته، وليس مرد ذلك إلىٰ طبائع الأشياء التي لا تتبدل، كما يقوله من يقوله من أعدائه الطبائعيين ـ الدهريين ـ[1].

متىٰ تذم الأسباب؟

إنما تذم الأسباب إذا تعلق القلب بها وحدها، وجعل كل اعتماده عليها، ونسي مسببها وخالقها، وجهل أن الأسباب لا تعمل وحدها، فربما أهمل سببًا بعيدًا أو خفيًا، أو أغفل شرطا لازمًا، أو كان هناك مانع قوي يعوق سببه ويبطل تأثيره، فإنه إذا بذر الحبة في الأرض الخصبة، وتعهدها بالري والتسميد ونحو ذلك، لا يملك تعهد البذرة في أعماق التربة، ولا يملك تصريف الرياح ودرجات الحرارة والبرودة التي تؤثر فيها، ولا الآفات السماوية التي يمكن أن تحيق بها، فلا يملك المؤمن هنا إلا أن يقول بعد سببه واجتهاده: نبذر الحب،

(١) الإسلام سؤال وجواب رقم السؤال: ٣١١٥٤٤.

ونرجو الثمر من الرب.

وقد ذكر القرآن لنا نموذجًا من الاعتماد على الأسباب الظاهرة وحدها فإذا هي لا تحقق نتائجها، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

لقد خذلوا وهم كثرة؛ حيث غرهم الكم، وأذهلهم عن التوكل، فلم يغن الكم الكثير شيئا، على حين انتصروا وهم قلة؛ إذ كان اعتمادهم على الله وحده، بعد أن بذلوا ما استطاعوا(١).

أصناف الناس بالنسبة للأسباب:

الناس مع الأسباب في عصرنا أصناف:

❊ الصنف الأول: معطلو الأسباب:

وهم الذين أعرضوا بأبدانهم وقلوبهم بدعوى التوكل على الله تعالى. وقد خطأ هؤلاء، ووجود هذا الصنف في عصرنا الحالي نادر.

❊ الصنف الثاني: المعتمدون على الأسباب دون مسببها: وهم الذين تشبثوا بالأسباب بجوارحهم وقلوبهم وغفلوا عن مسببها، وخالقها، فكل نظرهم إليها، وكل اعتمادهم عليها، حتى أمست وكأنها آلهة تُعبد مع الله، أو من دون الله!.

وهؤلاء للأسف الشديد أكثر الخلق، فلا يكاد أحدهم يرى الرزق إلا في

(١) التوكل للقرضاوي ص٦٥.

الوظيفة التي يقبض راتبه منها كل شهر، أو التجارة التي تعود عليه بالربح كل عام.. ولهذا نرىٰ أحدهم يقول: لولا فلان لخسرنا، ولولا خبرتي وتصرفي لضعنا.. وقلما يذكر أحد ربه الذي هيأ له هذا أو تلك، ورزقه من حيث يحتسب أو لا يحتسب.. فكأن هؤلاء باتوا في أمر الرزق والتدبير في مرتبة دون مرتبة المشركين الذين حدثنا القرآن عنهم أنهم كانوا يردون أمر الرزق والتدبير والإحياء والإماتة إلىٰ الله سبحانه، لا إلىٰ أصنامهم ولا إلىٰ أحد من خلقه يقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١][1].

*** الصنف الثالث: المستعينون بالأسباب علىٰ المعاصي:**

وهذا الصنف أسوأ من الصنف الثاني، فإن الصنف الثاني اعتمدوا علىٰ الأسباب في المباحات، وهؤلاء استخدموا في المحرمات؛ استعانوا بالأسباب المسخرة من الله علىٰ معاصي الله؛ استعملوا ذكاءهم وتدبيرهم في عصيان الخالق، وإيذاء الخلق؛ واستخدموا قوتهم وجاههم في البطش بالمستضعفين، والعدوان علىٰ حقوق المغلوبين؛ وسخروا أموالهم ومكاسبهم في اتباع الشهوات، وإشاعة الفاحشة، وترويج الفساد في ا الأرض؛ وجعلوا من مناصبهم وولاياتهم أداة لظلم الضعفاء، ومحاباة الأقوياء والإثراء من الحرام، وإعلاء الباطل علىٰ الحق، والمنكر علىٰ المعروف؛ حتىٰ العلم، وجهوه لخدمة المادة علىٰ حساب الروح، ولتسير المتعة علىٰ حساب القيم، بل علم الدين نفسه أحالوه آلة لاقتناص الدنيا؛ فأحلّوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، وأسقطوا ما أوجب الله.

---

(١) التوكل للقرضاوي: ص (٧٠ ـ ٧٤).

وقد صور شاعر النيل حافظ إبراهيم أنواعا من هذا الصنف فأبدع في تصويره حين قال:

كم عالم مد العلوم حبائلًا ❁ لوقيعة وقطيعة وفراق
وطبيب قوم قد أحل لطبه ❁ ما لا تُحل شريعة الخلاق
قتل الأجئة في البطون، وتارة ❁ جمع الدراهم في دم مهراق
أغلىٰ وأثمن من تجارب علمه ❁ يوم الفخار تجارب الحلاق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه ❁ لمكيدة أو مستحل طلاق
يمشي وقد نصبت عليه عمامة ❁ كالبرج، لكن فوق تل نفاق
يدعونه عند الشقاق وما دروا ❁ أن الذي يدعون خدن شقاق
وأديب قوم تستحق يمينه ❁ قطع الأنامل أو لظىٰ الإحراق
في كفه قلم يمج لعابه ❁ سمًا، وينفثه علىٰ الأوراق
يرد الحقائق وهي بيض نصع ❁ قدسية علوية الإشراق
فيردها سودا جنباتها ❁ من ظلمة التمويه ألف نطاق

لقد جعل الله الأسباب لخلقه نعمة؛ فجعلها هؤلاء نقمة، حين انحرفوا بها إلىٰ ما يسخط الله ﷻ.

ومثل هؤلاء: من شغلتهم الأسباب عن أداء فرائض الله ـ ﷻ ـ فأولئك استعانوا بالأسباب علىٰ فعل المحظورات، وهؤلاء ألهتهم عن فعل المأمور كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

*** والصنف الرابع: من جمعوا بين السبب والتوكل على المسبب:**

هو الذي أخذ بالأسباب، ولم يغفل عن مسببها؛ فهو مع الأسباب بجوارحه وبدنه، ومع ربه بعقله وقلبه؛ فهذا هو المتوكل حقا.

هو الذي رعى سنة الله في خلقه، وأحكامه في شرعه؛ موقنا أن الله تعالى هو الذي وضع الأسباب، وأمر باتخاذها، ورتب عليها آثارها قدرا وشرعا، وهو في الوقت نفسه القادر على أن يعطلها إن شاء، وأن يخلق من الموانع ما يعوق سيرها، أو يبطل أثرها.

هذا الصنف هو الذي أحسن الفهم عن الله ورسوله؛ فعقل ناقته وتوكل، وبذر الحب، واعتمد على الرب، ومشى في مناكب الأرض التي ذللها الله، آكلا من رزق الله، وباع واشترى؛ ولكن لم تلهه تجارة ولا بيع عن ذكر الله.. وإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، ترك بيعه، وجمد سببه، ساعيا إلى ذكر الله، فإذا قضيت الصلاة انتشر في الأرض مبتغيا من فضل الله.. ا. هـ[1].

من أهم ما يساعد على تيسير الأسباب هو:

تقوى الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

الدعاء: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهمَّ رحمتَك أَرجو فلا تَكِلني إلى نَفسِي طرفةَ عينٍ، وأصلِح لي شَأني كلَّه لا إلَه إلَّا أنتَ**»[2]، وقال: «**اللَّهمَّ لا سَهلَ إلَّا ما جَعَلتَه سَهلًا، وأنتَ تَجعَلُ الحَزْنَ إذا شِئتَ سَهلًا**»[3]، وإبراهيم عليه السلام قال:

(١) انظر: التوكل للقرضاوي، الرائد لمازن الفريح: ١/١٠٠ ـ ١٠٣.

(٢) رواه أبوداود.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه.

حسبي الله ونعم الوكيل فأنقذه الله من النار.

الحرمان من حصول المطلوب: بسبب ذنب أو لسبب آخر يقدر الله تعالىٰ علىٰ العبد، قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[1].

(١) رواه أحمد وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم.

لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه !

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ برَسولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إلىٰ امْرَأَتِي، فَقُلتُ لَهَا: هلْ عِنْدَكِ شيءٌ؟ فإنِّي رَأَيْتُ برَسولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا (جوعًا شديدًا)، فأخْرَجَتْ لي جِرَابًا فيه صَاعٌ مِن شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ (الصغير من الضأن الذي ألف البيت)، قالَ: فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ، فَفَرَغَتْ إلىٰ فَرَاغِي، فَقَطَّعْتُهَا في بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقالَتْ: لا تَفْضَحْنِي برَسولِ اللهِ ﷺ وَمَن معهُ، قالَ: فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّا قدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَتْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ كانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ في نَفَرٍ معكَ، فَصَاحَ رَسولُ اللهِ ﷺ، وَقالَ: «**يا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إنَّ جَابِرًا قدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا** (وليمة بالفارسية)، **فَحَيَّ هَلًا بكُمْ**»، وَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ** (قدركم)، **وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حتَّىٰ أَجِيءَ**»، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَقْدَمُ النَّاسَ حتَّىٰ جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقالَتْ: بكَ وَبِكَ، فَقُلتُ: قدْ فَعَلْتُ الذي قُلْتِ لِي، فأخْرَجْتُ له عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إلىٰ بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ قالَ: «**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ معكِ، وَاقْدَحِي** (اغرفي) **مِن بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا**» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ باللهِ لأَكَلُوا حتَّىٰ تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وإنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ (تغلي) كما هي، وإنَّ عَجِينَتَنَا، أَوْ كما قالَ الضَّحَّاكُ: لَتُخْبَزُ كما هُوَ[1].

(١) رواه مسلم واللفظ له والبخاري.

وعنه رضي الله عنهما: أمرَ أبي بخزيرةٍ فصُنِعَتْ ثمَّ أمرَني فأتيتُ بِها رسول اللهِ ﷺ فقالَ ما هذا يا جابرُ ألَحمٌ هذا وفي روايةٍ اللَّحمُ هذا؟ قلتُ: لا ولَكِن أمرَني بخزيرَةٍ (لحم مقطع مع ماء ودقيق) فصُنِعتُ وأمرَني فأتيتُكَ بِها فأخذَها ثمَّ أتيتُ أبي فقالَ: هل قال لكَ رسولُ اللهِ ﷺ شيئًا فأخبرتُهُ فقالَ أبي عسىٰ أن يَكونَ رسولُ اللهِ ﷺ اشتَهَىٰ اللَّحمَ فقامَ إلىٰ داجنٍ لَه فأمرَ بِها فذُبِحَت ثمَّ أمرَ بِها فشُوِيَت لَه ثمَّ أمرَني فأتيتُهُ بِها وَهوَ في مجلِسِهِ وفي روايةٍ في منزلِهِ فقالَ ما هذا؟ فذَكَرتُ لَه القصَّةَ فقالَ: «**جزاكُم اللهُ يا معشرَ الأنصارِ خيرًا ولا سيَّما عبدَ اللهِ بنِ عمرِو بنِ حرامٍ وسعد بنِ عبادةٍ**» وفي روايةِ «**لا سيَّما آلَ عمروٍ**»[1].

❁ **محبة النبي ﷺ:**

حبه ﷺ من الإيمان: «**ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَن كانَ اللهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِواهُما ، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُ اللهُ منه ، كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ**»[2].

من حبه تعظيمه وتوقيره: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وعزروه: أي عظموه.

من حبه الصلاة عليه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، «**مَن صلَّىٰ عليَّ صلاةً**

(١) ابن حجر في الفتوحات الربانية وصححه (٥/٢٥١).
(٢) متفق عليه.

واحدةً، صلَّىٰ اللهُ عليه عَشْرَ صَلَواتٍ، وحطَّ عنه عَشْرَ خَطيئاتٍ»[1].

من حبه أن نتبع سنته ونقتفي أثره ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، قال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[2].

من حبه طاعته: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، «**كُلُّ أُمَّتي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَىٰ**»، قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، وَمَن يَأْبَىٰ؟ قالَ: «**مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَىٰ**»[3].

من حبه أن نحن لرؤياه ولقائه: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كانَ المسْجِدُ مَسْقُوفًا علَىٰ جُذُوعٍ مِن نَخْلٍ، فَكانَ النبيُّ ﷺ إذَا خَطَبَ يَقُومُ إلىٰ جِذْعٍ منها، فَلَمَّا صُنِعَ له المِنْبَرُ وكانَ عليه، فَسَمِعْنَا لِذلكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حتَّىٰ جَاءَ النبيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ»[4].

(١) رواه أحمد.
(٢) تفسير القرآن العظيم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.

سبق المفردون !

عن جويرية بنت الحارث ﵂: أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ مِن عِندِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ، وَهي في مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ، وَهي جَالِسَةٌ، فَقالَ: «**ما زِلْتِ علَىٰ الحَالِ الَّتي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قالَتْ: نَعَمْ، قالَ النبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لو وُزِنَتْ بما قُلْتِ مُنْذُ اليَومِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[(١)].

ومعناه: تسبيحُ اللهِ ﷻ وتَحمَديه بعَددِ جميعِ مَخْلوقاتِه، ومَخلُوقاتُ اللهِ ﷻ لا يُحصيها إلَّا اللهُ كما قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وبِمِقدارِ رِضا ذاتِه الشَّريفَةِ، (وزِنَةَ عَرْشِه) وزِنَةَ عَرْشِه لا يَعْلَمُ ثِقَلَها إلَّا اللهُ ﷻ، (ومِدادَ كَلِماتِه)، والمِدادُ ما يُكْتَبُ به الشَّيءُ، وكَلِماتُ اللهِ تَعالىٰ لا يُقارَنُ بها شَيءٌ[(٢)].

(لَوَزَنَتْهُنَّ) أَيْ: لَتَرَجَّحَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَذْكَارِكِ، وَزَادَتْ عَلَيْهِنَّ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، أَوْ لَسَاوَتْهُنَّ، أَيْ: سَاوَتْهُنَّ، أَوْ غَلَبَتْهُنَّ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَىٰ أَنَّهَا كَلِمَاتٌ كَثِيرَةُ الْمَعْنَىٰ؛ لَوْ قُوبِلَتْ بِمَا قُلْتِ لَسَاوَتْهُنَّ. انتهىٰ[(٣)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) موقع درر السنية شرح الحديث.

(٣) مرقاة المفاتيح: (٤/ ١٥٩٥).

وقال ابن القيم رحمه الله: تفضيل سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته على مجرد الذكر بسبحان الله أضعافا مضاعفة، فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول: سبحان الله وبحمده عدد خلقه من معرفته وتنزيهه وتعظيمه، من هذا القدر المذكور من العدد: أعظم مما يقوم بقلب القائل: سبحان الله فقط.

وهذا يسمى الذكر المضاعف، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد، فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه، فإن قول المسبح: سبحان الله وبحمده عدد خلقه: يتضمن إنشاء وإخبارا عما يستحقه الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان، أو هو كائن، إلى ما لا نهاية له.

فتضمن الإخبار عن تنزيهه الرب وتعظيمه، والثناء عليه هذا العدد العظيم، الذي لا يبلغه العادون، ولا يحصيه المحصون، وتضمن إنشاء العبد لتسبيحٍ هذا شأنُه، لا أن ما أتى به العبد من التسبيح هذا قدره وعدده، بل أخبر أن ما يستحقه الرب سبحانه وتعالى من التسبيح: هو تسبيح يبلغ هذا العدد، الذي لو كان في العدد ما يزيد، لذكره. انتهى[1].

بذكر الله يعمق الإيمان في القلب: باستحضاره لعظمة الله تعالى، كما قال تعالى عن الذين أوتوا العلم من الأمم السابقة أنهم يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، أي: تعظيما وتوقيرا على قدرته التامة، وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ[2].

---

(١) المنار المنيف: (ص٣٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم.

وبذكر الله تطمئن القلوب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وبذكر الله يذكرك الله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

الذاكرون الله كثيرًا هم المفلحون: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

بذكر الله ﷻ ترطب الأفواه: عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: أنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به، قال: «**لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ**»(١).

وذكر الله يبعد الشيطان ويقرب من الرحمن: وتهدأ النفوس من اضطرابها عند وقوع الفتن والبلاء: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها(٢).

والذي لا يذكر ربه كالميت: قال ﷺ: «**مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**»(٣).

الذكر رفعة وزكاة وخير: قال ﷺ: «**ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ**

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) تيسير الكريم الرحمن.

(٣) رواه البخاري.

لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم ؟» قالوا: بلَىٰ. قالَ: «**ذِكْرُ اللهِ تَعالىٰ**» ، قالَ معاذُ بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجىٰ مِن عذابِ اللهِ من ذِكْرِ اللهِ[١] .

ذكر الله طريق إلىٰ الجنة: فكم ورد عن النبي ﷺ من أجر موصل للجنة ونعيمها بإذنه تعالىٰ بكلمات يسبح المرء فيها الله تعالىٰ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»[٢] .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[٣] .

ذكر الله خير مما طلعت عليه الشمس: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمسُ**»[٤] .

ذكر الله يُكسب المرء حسنات كثيرة: قَالَ ﷺ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُم أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ**» ، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ ، فَيُكتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»[٥] .

---

(١) رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه وأحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

الباقيات الصالحات من ذكر الله: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، سئل عثمان رضي الله عنه عن الباقيات الصالحات فقال: هيَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وسُبحانَ اللهِ، واللهُ أكبرُ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ(١).

هذا الكون يذكر لله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

الرعد يسبح: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

والملائكة تسبح: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

والجبال والطيور تسبح: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]. ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]

وأهل الجنة يسبحون الله: في صحيح البخاري رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: **«أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ علَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا يَبْصُقُونَ فِيهَا، ولَا يَمْتَخِطُونَ، ولَا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ومَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ، ولِكُلِّ واحِدٍ منهمْ زَوْجَتَانِ، يُرَىٰ**

(١) صحيح الترغيب: (٣٦٦).

مُخُّ سُوقِهِما مِن ورَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لا اخْتِلَافَ بيْنَهُمْ ولَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ واحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وعَشِيًّا».

وعند مسلم أنه ﷺ قال: **«إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها ويَشْرَبُونَ، ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ قالوا: فَما بالُ الطَّعامِ؟ قالَ: جُشاءٌ ورَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ، كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»**.

الخسارة الحقيقية في الغفلة عن ذكر الله تعالى: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

ضرورة الابتعاد عن الغفلة: قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

أربع جوائز لمن يقعد في مجلس يذكر الله فيه: قَالَ ﷺ: **«لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدَهُ»**(١).

مراتب الذكر: ما كان بالقلب واللسان وهذا أفضلها، ثم ما كان بالقلب، ثم ما كان باللسان وحده، قال ابن القيم رحمه الله: فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب

(١) رواه مسلم.

واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويدعو إلىٰ المراقبة، ويزع عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا من الآثار وإن أثمر شيئا منها فثمرة ضعيفة.

كيف نكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات؟

عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ قال: لا يفرض الله علىٰ عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذرٍ، غيرَ الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا علىٰ عقله، فقال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنىٰ والفقر، والسقم والصحة، والسرِّ والعلانية، وعلىٰ كل حالٍ(١).

وصفت عائشة ﷺ حال رسول الله ﷺ فقالت: كان النبي يذكر الل علىٰ كل أحيانه(٢).

اتفق أهل العلم علىٰ أن أفضل الذكر هو القرآن الكريم، قال الإمام النووي ﷺ: اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار والمطلوب القراءة والتدبر(٣).

لكن لكل عبادة وقت هي أفضل من غيرها فيه، فمن سمع المؤذن يؤذن وهو يقرأ القرآن فالأفضل أن يجيب المؤذن لأن إجابته مرتبطة بسماعه(٤).

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الأذكار ص١٠١، الإسلام سؤال وجواب برقم: ١٩٥٢٧٤.

(٤) الإسلام سؤال وجواب برقم: ١٩٥٢٧٤.

ويل للمصرين !

تقول عائشة ﵂: قَالَ لِي ـ أي رسول الله ﷺ ـ: يا عَائِشَةُ، احْمَدِي اللهَ؛ فقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ، فَقَالَتْ لي أُمِّي: قُومِي إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقُلتُ: لا واللهِ، لا أَقُومُ إِلَيْهِ، ولَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، فأنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] الآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هذا في بَرَاءَتِي، قَالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﵁ ـ وكانَ يُنْفِقُ علَىٰ مِسْطَحِ بنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ منه ـ: واللهِ لا أُنْفِقُ علَىٰ مِسْطَحٍ شيئًا أَبَدًا بَعْدَ ما قَالَ لِعَائِشَةَ، فأنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ إلىٰ قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فَقَالَ أبو بَكْرٍ: بَلَىٰ واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إلىٰ مِسْطَحٍ الذي كانَ يُجْرِي عليه(١).

يقول تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

أصعب شيء علىٰ النفس أن تعترف بالخطأ، لذلك قال ﷺ: «**فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه**»(٢).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

الذي يمنع التوبة واعتراف بالخطأ هو الإصرار على الذنب، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ليس العيب أن يخطئ الإنسان، ولكن المصيبة أن يتمادى في الخطأ وهو يعلم أنه مخطئ!، قال ﷺ: «**ارْحمُوا تُرحَمُوا، واغْفِرُوا يُغفَرْ لكُمْ، ويْلٌ لأقماعِ القولِ، ويلٌ للمُصِرِّينَ الذين يُصِرُّونَ على ما فعلُوا وهمْ يَعلمُونَ**»(١).

(ويْلٌ لأقْماعِ القَوْلِ): وهم الذين يَسْمعون القولَ ولا يَعْمَلون به، شَبَّههم بالأقْماعِ التي تُجعَلُ برأسِ الإناءِ الضيِّقِ حتى يُملأَ، ويُصَبُّ فيها الماءُ فيمرُّ منها إلى غَيرِها ولا يَمكُثُ فيها ولا تنتفعُ به. [من موقع درر السنية].

من يسرع بالرجوع والفيئة والتوبة تأتيه البشارة: «**أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيرًا**»(٢).

ومن لم يسرع وأصر على معصيته يقال له: «**أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله فجزاك الله شرًّا**»(٣).

وأبواب الرحمة لسريع الفيئة مفتوحة: «**إنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا**»(٤).

---

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب.

(٢) رواه أبوداود وأحمد.

(٣) رواه أبوداود وأحمد.

(٤) رواه مسلم.

الخطورة هي في الإصرار على الصغائر لأن ذلك يحولها إلى كبائر، قال ﷺ: «**إياكُم ومحقَّراتِ الذُّنوبِ، فإنَّما مَثلُ محقَّراتِ الذُّنوبِ؛ كمَثلِ قَومٍ نزَلوا بطنَ وادٍ، فجاء ذا بِعودٍ، وجاء ذا بِعودٍ، حتَّى جَمعوا ما أنضَجوا بهِ خبزَهم، وإنَّ محقَّراتِ الذُّنوبِ متَى يُؤخَذْ بِها صاحبُها تُهْلِكْهُ**»(١).

أنس رضي الله عنه يقول: إنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أعْمالًا، هي أدَقُّ في أعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إنْ كُنَّا لَنَعُدُّها علَى عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقاتِ(٢).

(١) صحيح الترغيب: ٢٤٧١.

(٢) رواه البخاري.

تلاحيا فرفعت !

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلَاحَىٰ رَجُلَانِ مِنَ المسْلِمِينَ فَقَالَ: «**خَرَجْتُ لِأُخْبِركُمْ بلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَىٰ فُلَانٌ وفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ وعَسَىٰ أنْ يَكونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا في التَّاسِعَةِ، والسَّابِعَةِ، والخَامِسَةِ**»[1].

* لَيلة القدْرِ ليلة عظيمة: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

* الخصام والتنازع الذي حصل أمام النبي ﷺ كان سببا في رفع عِلمِها ومِيقاتها، فحُرِمنا به بَركةَ لَيلةِ القدْرِ، وإلَّا فهي باقيةٌ إلىٰ يومِ القِيامةِ بفضل الله تعالىٰ، ومن علاماتها أنها ليلة صافية لا حارة ولا باردة وتطلع الشمس عقبها لا شعاع لها منتشر في الآفاق.

* قوله ﷺ: «**وعسَىٰ أنْ يكونَ**» في رفْعِها وإبهامِ تَعيينها «**خَيرٌ لكم**»؛ لتَزيدوا في الاجتهادِ في طَلبِها، فيَحصُلَ لكم زِيادةٌ في ثَوابِكم، ولو كانت مُعيَّنةً لاقتصَرْتُم عليها، فقَلَّ عمَلُكم وثَوابُكم.

* ثمَّ قال: فالْتمِسوها، أي: اطلُبوها وتَحرَّوها في الوتر من العشر الأواخر.

* الملاحَاةُ والخُصومةُ، سَببُ العُقوبةِ للعامَّةِ بذَنْبِ الخاصَّةِ[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) موقع درر السنية شرح الحديث بتصرف.

❊ من أسباب التنازع:

ـ الغلظة والفضاضة: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ـ سرعة الغضب: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(١).

ـ التنابز بالألقاب: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١].

ـ الغيبة: «**ذكرك أخاك بما يكره**»(٢).

ـ النميمة: نقل كلام الناس على جهة الإفساد «**لا يدخل الجنة نمام**»(٣).

ـ الكذب: «**وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّى يُكْتَبَ كَذّابًا**»(٤).

ـ عدم التثبت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ـ إساءة الظن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٞ﴾ [الحجرات: ١٢].

ـ سوء العشرة مع الزوجة من بعض الأزواج: «**أكملُ المؤمنين إيمانًا**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

أحسنُهم خُلُقًا ، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم»[1].

ـ سوء الخلق من بعض الزوجات: «**إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت**»[2].

ـ سوء الأدب مع الجيران: «**ما زالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بالجارِ ، حتَّىٰ ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ**»[3].

ـ عدم كتابة الديون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، قال السعدي رحمه الله: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوبا وإما استحبابا لشدة الحاجة إلىٰ كتابتها ، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط والنسيان والمنازعة والمشاجرة شر عظيم[4].

* الإسلام دين الوحدة والاجتماع ، دين ينبذ الاختلاف ، والتفرق ، قال الله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، أي: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتضعفوا وتجبنوا[5].

* تفرق الأبدان يؤدي لتفرق القلوب: عن عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال: كانَ

---

(١) رواه الترمذي وابن حبان.
(٢) رواه ابن حبان.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) تيسير الكريم الرحمن.
(٥) تفسير الطبري.

رَسولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا في الصَّلَاةِ، ويقولُ: «**اسْتَوُوا، ولَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»(١).

* الله ﷻ دعا إلى الوحدة ونبذ الفرقة، فقال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وغيرها من الآيات.

* والنبي ﷺ يقول: «**يَدَ اللهِ مع الجماعةِ، وإنَّ الشَّيْطانَ مع مَنْ فارقَ الجماعةَ يَرْكُضُ**»(٢)، فالجَماعةُ المتَّفِقةُ مِن أهْلِ الإسْلامِ في كَنَفِ اللهِ ووِقايَتِهِ، ومَن فارَقَ الجَماعةَ فإنَّ الشَّيْطانَ يكونُ مُوجِّهًا له بالوَساوِسِ والشُّرورِ، ويكونُ سَعيُهُ في سَبيلِ الشَّيْطانِ، مَتْروكًا له دونَ حِفظٍ من اللهِ(٣).

* ويقول ﷺ: «**فعليكُم بالجماعةِ؛ فإنَّما يأكلُ الذِّئبُ من الغنَمِ القاصيةَ**»(٤).

* العبادات كلها جاءت تدع إلى الوحدة والجماعة، فالصلاة التي هي عمود الدين، يقول ﷺ عنها: «**صَلَاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الفَذِّ بسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرَجَةً**»(٥).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم وأبوداود وأحمد.
(٣) موقع درر السنية شرح الحديث بتصرف.
(٤) رواه أبوداود وأحمد.
(٥) رواه البخاري ومسلم.

❋ والصوم ينمي الشعور بالوحدة والتكافل بين المسلمين، فالصائم يرىٰ الناس من حوله صياما كلهم، ويشعر بالترابط والتلاحم مع هذا المجتمع، ويتذوق لذة الجوع في سبيل الله ﷻ. والكل يمسك ويفطر دون تفريق أو امتياز بين شخص وآخر، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وأفضلهم أزكاهم. فما أعظمها من صورة معبرة عن وحدة المجتمع في ظل العبودية لله ﷻ[1].

❋ وفي الحج وضوح لاجتماع المسلمين، يجتمعون في صعيد واحد، وبلباس واحد، وفي زمن واحد، ويعبدون ربا واحدا.

❋ الاجتماع في قراءة القرآن وطلب العلم فقال: «**وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عليهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدَهُ**»[2].

❋ الاجتماع علىٰ الطعام، قالوا: يا رسولَ اللهِ إنَّا نأكلُ ولا نَشبعُ قالَ: «**فلعلَّكُم تأكُلونَ متفرِّقينَ ؟**» قالوا: نعَم، قالَ: «**فاجتَمعوا علىٰ طعامِكُم، واذكُروا اسمَ اللهِ عليَهِ، يبارَكْ لَكُم فيهِ**»[3].

❋ في قضاء الحاجات دعا ﷺ للاجتماع فقال: «**المسلِمون تَتكافَأُ دِماؤُهم، يسعىٰ بذِمَّتِهم أدناهم، ويُجيرُ عليهم أقصاهم، وهم يَدٌ علىٰ مَن سواهم، يرُدُّ مُشِدُّهم علىٰ مُضعِفِهم، ومُتسَرِّيهم علىٰ قاعدِهم**»[4].

---

(١) موقع الشبكة الإسلامية بتصرف: من معاني الصيام.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه أبوداود.

ـ المؤمنون تَكَافَأُ دِماؤُهم: تَتساوَىٰ دِماؤُهم في القِصاصِ والدِّيَاتِ لبَعضِهم مِن بعضٍ، ولا فَرْقَ بين الشَّريفِ والوضيعِ في الدَّمِ.

ـ ويَسعىٰ بذِمَّتِهم أدناهم: إذا أعطىٰ أحدٌ مِنَ المسلمين عهْدًا وذِمَّةً لغيرِ مسلمٍ ولو كان ذلك من عبْدٍ أو أَمَةٍ وَجَبَ علىٰ باقي المسلمين أنْ يُوفُوا له عهْدَه، وعلىٰ المسلمين أنْ يُكبِّروه في ذلك العهْدِ ويحترموه فيه.

ـ ويُجيرُ عليهم أَقْصاهم: ولو أنَّ مُسلِمًا أعطىٰ عهْدًا وذِمَّةً لبعضِ الكفَّارِ سعَىٰ له المسلمون فيه وأَوْفَوْه له، وفي قولِه: أَقْصاهم إشارةٌ إلىٰ أنَّه مهما كان بُعْدُه ومكانتُه لَزِمَ علىٰ المسلمين إنفاذُ إجارتِه.

ـ وهُمْ يَدٌ علىٰ مَنْ سِواهم: قوَّةٌ مُجْتَمِعَةٌ علىٰ أعدائِهم وأعداءِ دِينِهم.

ـ ويَرُدُّ مُشِدُّهم علىٰ مُضْعِفِهم: إنَّ القَويَّ يُساهِمُ الضَّعيفَ فيما يَكسِبُه مِنَ الغَنيمةِ.

ـ ومُتَسَرِّيهم علىٰ قاعِدِهم: وكذلك مَنْ غَنِموا في سَرِيَّةٍ تُرَدُّ غَنيمَتُهم علىٰ الجيشِ الَّذي خرجَتْ منه تلك السَّرِيَّةُ لا للمُتخلِّفينَ عَنِ الجيشِ[1].

* يقول النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا يجمعُ أمَّتي ـ أو قالَ: أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ ـ علَىٰ ضلالةٍ ويدُ اللهِ معَ الجماعةِ**»[2].

* اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ أن المراد بذلك هو رعاية الله لهم، وعنايته بهم، وأنهم في كنفه وحفظه[3].

---

(١) موقع درر السنية شرح الحديث بتصرف.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) موقع: إسلام ويب، رقم الفتوىٰ: (١٠٠٦٩).

يجمع الشر كله !

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّىٰ انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ**» فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فأَخْبَرَهُ بقَوْلِ النبيِّ ﷺ وقالَ: تَعَوَّذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقالَ: أَتُرَىٰ بي بَأْسٌ، أَمَجْنُونٌ أَنَا، اذْهَبْ[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»[2].

قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله[3].

قال ابن رجب ﷺ: يحتمل أمرين:

أحدهما: التخلق بالأخلاق الحسنة كالحلم والاحتمال وكف الأذىٰ والصفح والعفو وكظم الغيظ ونحو ذلك فإن النفس إذا تخلقت بها وصارت لها عادة فإنها تدفع الغضب عند حصول أسبابه.

والثاني: أن يملك الإنسان نفسه فلا يندفع لما لا يحمد عقباه، ولهذا

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد.

المعنىٰ قال الله ﷻ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤] (١).

قال السعدي: أي: سكن غضبه، وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه(٢).

الغضب خلق مذموم قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورىٰ: ٣٧]، أي يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون(٣).

فهم قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتىٰ إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح(٤).

والله ﷻ يقول: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وقَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**إنَّ الغضبَ منَ الشيطانِ**»(٥).

والغضب عواقبه وخيمة، فَهُوَ:

* يُوَلِّدُ بَيْنَ النَّاسِ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ.
* وَيُورِثُ بَيْنَهُمُ الحِقْدَ وَالشَّحْنَاءَ.
* وَيَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَىٰ عَدَمِ إِدْرَاكِ الأُمُورِ عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا.
* وَيَدْفَعُهُ إِلَىٰ العَجَلَةِ وَالتَّهَوُّرِ.

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحديث: ١٦بتصرف.
(٢) تيسير الكريم الرحمن.
(٣) تفسير البغوي.
(٤) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي.
(٥) رواه أبوداود وحسنه ابن حجر.

* وَإِلَىٰ إِفْسَادِ العَلَاقَاتِ، وَتَقَطُّعِ الصِّلَاتِ.

* وَقَدْ يَصِلُ الغَضَبُ بِصَاحِبِهِ إِلَىٰ القَتْلِ وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ.

* وَيَجُرُّ إِلَىٰ الفِتَنِ وَالحُرُوبِ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ.

* كَمَا أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَىٰ الإِيذَاءِ النَّفْسِيِّ وَالبَدَنِيِّ وَالصِّحِّيِّ.

وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ:

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا الْتِئَامٌ ❊ وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وكان من هديه ﷺ أنه لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله ﷻ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يُنْتَهَكَ مِنْ حُرُمَاتِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ**»(١).

بل كان يدعو ﷺ فيقول: «**أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا**»(٢).

إِنَّ لِلْغَضَبِ أَسْبَابًا كَثِيرَةً تُثِيرُهُ: منها العُجْبُ وَالْكِبْرُ، وَالحَمِيَّةُ وَالفَخْرُ؛ والحَسَدُ، والجَدَلُ وَالْمُمَارَاةُ وَالعُدْوَانُ، وَالخُصُومَةُ فِي البَاطِلِ وَالبُهْتَانِ؛ وَمِنْها ظَنُّ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ التَّهَوُّرَ شَجَاعَةٌ، وَأَنَّ سُرْعَةَ الغَضَبِ عِزَّةُ نَفْسٍ وَكَرَامَةٌ، وَهُوَ مَفْهُومٌ خَاطِئٌ لِلْغَضَبِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَلِلْمُنْكَرِ الَّذِي يَشِينُهُ الشَّرْعُ وَيَأْبَاهُ، والصحيح أن الشُّجَاعُ هُوَ مِنْ يَتَحَلَّمُ عِنْدَ الغَضَبِ، وَيَكُفُّ أَسْبَابَهُ وَيُوصِدُ أَبْوَابَهُ؛ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ**

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد والنسائي وسنده صحيح.

بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِىْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[1].

إن مِنْ أَهَمِّ مَا يُعَالَجُ بِهِ الغَضَبُ: الِالْتِجَاءُ إِلَىٰ اللهِ، وَالتَّحَصُّنُ بِذِكْرِهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ؛ وهي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لقوله ﷺ: «**إذا غضبَ الرجلُ فقال: أعوذُ باللهِ سكنَ غضبهُ**»[2]، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف٢٠٠]، وَمِنْ علاج الغضب: السُّكُوتُ لِيَقْطَعَ مَسَالِكَ الشَّيْطَانِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا غَضِبَ أحدكم فَليسْكُتْ**»[3].

وَمِنْهَا كَذَلِكَ: تَغْيِيرُ الحَالَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا؛ فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»[4].

ومنها الوضوء قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**إنَّ الغضبَ منَ الشيطانِ وإنَّ الشيطانَ خُلِقَ منَ النارِ وإنما تُطْفَأُ النارُ بالماءِ فإذا غَضِبَ أحدُكُم فلْيَتَوَضَأْ**»[5].

وَمِنْ دَوَاءِ الغَضَبِ أَيْضًا: تَذَكُّرُ مَا يُوَرِّثُهُ مِنْ عَوَاقِبَ وَآثَارٍ، وَمَا يَجْلِبُهُ مِنْ آثَامٍ وَأَضْرَارٍ، وَمُقَارَنَةُ ذَلِكَ بِنَتَائِجِ كَظْمِ الغَيْظِ العَاجِلَةِ، وَثَمَرَاتِهِ الطَّيِّبَةِ الآجِلَةِ؛ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ**

---

(١) متفق عليه.
(٢) السلسلة الصحيحة (١٣٧٦).
(٣) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.
(٤) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.
(٥) رواه أبوداود وحسنه ابن حجر.

قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ ﷻ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»[1].

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وإسناده حسن.

لفظته الأرض !

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فأسْلَمَ، وقَرَأَ البَقَرَةَ وآلَ عِمْرَانَ، فَكانَ يَكْتُبُ للنَّبيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فكانَ يقولُ: ما يَدْرِي مُحَمَّدٌ إلَّا ما كَتَبْتُ له، فأمَاتَهُ اللهُ فَدَفَنُوهُ، فأصْبَحَ وقدْ لَفَظَتْهُ الأرْضُ، فَقالوا: هذا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ منهمْ؛ نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا فألْقَوْهُ، فَحَفَرُوا له فأعْمَقُوا، فأصْبَحَ وقدْ لَفَظَتْهُ الأرْضُ، فَقالوا: هذا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وأَصْحَابِهِ؛ نَبَشُوا عن صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ منهمْ فألْقَوْهُ، فَحَفَرُوا له وأَعْمَقُوا له في الأرْضِ ما اسْتَطَاعُوا، فأصْبَحَ وقدْ لَفَظَتْهُ الأرْضُ، فَعَلِمُوا أنَّه ليسَ مِنَ النَّاسِ، فألْقَوْهُ[1].

رَجلًا نَصْرانيًّا مِن بَني النَّجَّارِ ـ كما في رِوايةِ مُسلمٍ ـ أسْلَمَ في عهْدِ النَّبيِّ ﷺ، وحَفِظ بَعضَ القُرْآنِ، حتَّىٰ قَرَأ سُورَتَي البَقرةِ وآلِ عِمْرانَ، فكان يَكتُبُ للنَّبيِّ ﷺ الوَحْيَ وغَيرَه ممَّا يُريدُ النَّبيُّ ﷺ كِتابَتَه، ولكنَّه ارتَدَّ، فعادَ نَصْرانيًّا كما كان، ولمسلمٍ: «فانطلَقَ هاربًا حتَّىٰ لَحِقَ بأهلِ الكِتابِ فرَفَعوه»، فكان الرَّجلُ يَقولُ بعْدَ ارْتِدادِه عنِ الإسْلامِ: ما يَدْري مُحمَّدٌ إلَّا ما كَتبْتُ له، وفي هذا إشارةٌ إلىٰ سُوءِ ظنِّه باللهِ سُبحانَه، وبرَسولِ اللهِ ﷺ، وأنَّه كان يَكتُبُ الوَحيَ بغَيرِ ما يُمْليهِ عليه النَّبيُّ ﷺ، ويظُنُّ أنَّه بذلك هو الَّذي يُحدِّدُ الوَحْيَ بما يَكتُبُه، ولم يَعلَمْ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَحفَظُ الوَحيَ، ويُحفِّظُه لغَيرِه مِن الصَّحابةِ.

---

(١) رواه البخاري.

وفي رِوايةِ أحمَدَ: فكان النَّبيُّ ﷺ يُمْلي عليه: (غَفورًا رَحيمًا)، فيَكتُبُ (عَليمًا حَكيمًا)، فيَقولُ له النَّبيُّ ﷺ: «**اكتُبْ كذا وكذا، اكتُبْ كيف شِئتَ**»، ويُمْلي عليه: (عَليمًا حَكيمًا)، فيقولُ: أكتُبُ (سَميعًا بَصيرًا)؟ فيَقولُ: «**اكتُبْ كيف شِئتَ**».

فماتَ هذا الرَّجلُ وهو علىٰ رِدَّتِه تلك، فدَفَنَه أهْلُه في قَبرِه، فأصبَحَ وقدْ لَفَظَتْه الأرضُ، أي: طرَحَتْه ورَمَتْه مِن داخِلِ القَبرِ إلىٰ خارِجِه؛ لتَقومَ الحُجَّةُ علىٰ مَن رَآهُ، ولِيَدُلَّ علىٰ صِدقِه ﷺ، ولِيَكونَ عِبرةً للنَّاظِرينَ، فظنَّ أهْلُ الكِتابِ أنَّ هذا الرَّمْيَ مِن فِعلِ النَّبيِّ ﷺ وأصْحابِه لَمَّا هرَبَ منهم، ولم يَرْضَ دِينَهم، نبَشُوا ـ أي: فَتَحوا ـ قَبْرَه، فألقَوْه خارجَه، فأعادَ أهلُ الكِتابِ دَفْنَه، فحَفَروا له فأعْمَقوا، أي: أبْعَدوا في باطنِ الأرضِ، ورَغْمَ ذلك لَفَظَتْه الأرضُ مرَّةً أُخْرىٰ، فأصبَحَ مَرميًّا خارجَ قَبْرِه، فظنَّ أهلُ الكِتابِ مرَّةً أُخْرىٰ أنَّ هذا مِن فِعلِ النَّبيِّ ﷺ وأصْحابِه، نَبَشوا قَبْرَه لَمَّا هَرَب منهم، فألْقَوْه خارجَ القَبرِ، فحَفَر له أهْلُه مرَّةً ثالثةً، فأعْمَقوا له في الأرضِ قَدْرَ ما يَسْتَطيعون، فأصبَحَ وقدْ لَفَظَتْه الأرضُ، فعَلِموا أنَّه لَيس مِن فِعلِ النَّاسِ، بلْ مِن ربِّ النَّاسِ، فألقَوْه، وفي رِوايةِ مُسلمٍ: «فتَرَكوه مَنْبوذًا» مَرميًّا علىٰ وجْهِ الأرضِ، فكان عِبرةً لكلِّ مُنافقٍ مُرتَدٍّ.

تَكفَّلَ اللهُ ﷻ بحِفظِ دِينِه ونَبيِّه ﷺ، كما تَكفَّلَ بحِفظِ كِتابِه منَ التَّحريفِ والتَّغْييرِ، حتَّىٰ وإنْ تعمَّدَ بعضُ الكَفَرةِ والمنافِقينَ ذلك.

لَمَّا أظهَرَ سرَّ رَسولِ اللهِ ﷺ، كانت عُقوبتُه مِن جنسِ ذَنْبِه، فأظهَرَتِ الأرضُ مِن سَوْءتِه ما تَوارىٰ به مِن كلِّ أحدٍ[1].

(١) موقع الدرر السنية، شرح الحديث.

❊ الجزاء من جنس العمل:

قاعدة عظيمة مطردة في جميع الأحوال، وبالتأمل في الكتاب والسنة نجد شواهد ذلك:

فقد عاقب الله تعالىٰ المنافقين بجنس ما أذنبوا وارتكبوا، فقال في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ فعاقبهم عقابا من جنس عملهم، فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥].

وقال تعالىٰ في سورة التوبة: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، قال ابن كثير :﵀ قوله: (سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ) من باب المقابلة علىٰ سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزاء من جنس العمل[(١)].

وكذلك الحدود التي شرعها الله تعالىٰ، كان الجزاء فيها من جنس العمل: يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]: أي مجازاة علىٰ صنيعهما السيء في أخذهما أموال الناس بأيديهم، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك، والجزاء من جنس العمل.

ومما وعد الله به عباده المؤمنين قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤/١٢٨.

ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

قال ابن القيم في: (بدائع الفوائد)[١]: لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا بأعمالهم أحسن الله إليهم برحمته.

وممن جوزي بجنس عمله:

ـ إبراهيم عليه السلام لما بنىٰ في الأرض بيتا يحجه الناس رآه النبي ﷺ مسندا ظهره إلىٰ البيت المعمور قبلة أهل السماء الذي يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك.

ـ لما صبر الخليل عليه السلام علىٰ تجريده من ثيابه علىٰ يد الكفار كان جزاؤه من جنس عمله، قال ﷺ: «**أول من يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم**»[٢].

ـ النمرود بن كنعان طغىٰ وتجبر وقال: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فدخلت بعوضة في أنفه والأنف رمز العزة والشموخ، وتسللت إلىٰ دماغه فكان لا يرتاح إلا إذا ضرب بالنعال علىٰ رأسه حتىٰ مات.

ـ سليمان عليه السلام شغلته الخيل عن ذكر ربه فنحرها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣]، فعوضه الله الريح أسرع من الخيل ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦].

ـ فرعون وضع جبريل عليه السلام في فمه طين البحر مخافة أن يشهد أن لا إله إلا الله لأنه طغىٰ وتجبر وقال جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ: **يا محمَّدُ فلو رأيتَني، وأَنا**

---

(١) ٣/٥٢٨.

(٢) انظر فتح الباري والحديث رواه البخاري واللفظ له ومسلم.

آخذٌ من حالِ البحرِ فأدسُّهُ في فيهِ مخافةَ أن تُدْرِكَهُ الرَّحمةُ[1]، طبعا هذا بعد أن قال الله تعالىٰ: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

ـ خديجة رضي الله عنها أحسنت صحبة النبي ﷺ وواسته بنفسها ومالها فجاء جزاؤها: «**بَشِّرُوا خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنَ الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فِيهِ ولا نَصَبَ**»[2]، القصب: اللؤلؤ، لا رفع صوت فيه ولا تعب.

ـ أبو بكر رضي الله عنه كان ينفق أمواله ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ ونصرة للنبي ﷺ فنزل قول الله فيه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢١].

❋ رتب الله تعالىٰ الأجر علىٰ بعض الأعمال بما يتناسب مع العمل نفسه، ومن ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقوله سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

يقول ابن كثير رحمه الله: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك[3].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣٦٨/٣.

ومن السنة أحاديث كثيرة، منها:

قوله ﷺ: «**ارحَمُوا مَن فِيْ الأَرضِ يَرحَمْكُمْ مَن فِي السَّمَاءِ**»(١).

وقوله ﷺ: «**احفَظِ اللهَ يَحفَظْكَ**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلِمُ أَخُو المسلِمِ لا يَظلِمُهُ وَلا يُسْلِمُه، مَن كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَن فَرَّجَ عَن مُسلِمٍ كُربَةً فَرَّجَ اللهُ عَنهُ بِهَا كُربَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ**»(٣).

ما جاء في قول الله تعالىٰ للرحم حين تعلقت به سبحانه: «**أَمَا تَرضَينَ أَن أَصِلَ مَن وَصَلَكِ وَأَقطَعَ مَن قَطَعَكِ؟ قَالَت: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ**»(٤).

*** وقد جاء في السنة من الوعيد علىٰ بعض الذنوب ما هو مناسب ومشاكل لها، فمن ذلك:**

قوله ﷺ: «**مَن لَعَنَ شَيئًا لَيسَ لَهُ بِأَهلٍ رَجَعَتِ اللَّعنَةُ عَلَيهِ**»(٥).

وقوله ﷺ: «**مَن ضَارَّ ضَارَّ اللهُ بِهِ، وَمَن شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيهِ**»(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «**مَن سُئِلَ عَن عِلمٍ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلجِمَ يَومَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ**

---

(١) صحيح الترمذي (١٩٢٤).
(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.
(٣) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم (٢٥٨٠).
(٤) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم (٢٥٥٤).
(٥) رواه الترمذي وقال: حسن غريب (١٩٧٨).
(٦) صحيح الترمذي (١٩٤٠).

مِن نَارٍ»[1].

وذلك من مقتضىٰ عدله وحكمته ﷻ ، فمن عاقب بجنس الذنب لم يظلم ، ومن دانك بما دنته به لم يتجاوز:

فَـلا تَجـزَعنَ مِـن سُـنَّةٍ أَنـتَ سِـرتَها ❦ وَأَوَّلُ راضِـي سُـنَّةٍ مِـن يَسـيرُها[2]

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) من موقع الإسلام سؤال وجواب بتصرف رقم: ٥١٥٢٨.

لو دنا مني لاختطفته الملائكة !

عن أبي هريرة ﷺ قال: قالَ أَبُو جَهْلٍ: هلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قالَ فقِيلَ: نَعَمْ، فَقالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذلكَ لأَطَأَنَّ علَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ في التُّرَابِ، قالَ: فأتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهو يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ علَىٰ رَقَبَتِهِ، قالَ: فَما فَجِئَهُمْ منه إلَّا وَهو يَنْكُصُ علَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بيَدَيْهِ، قالَ: فقِيلَ له: ما لَكَ؟ فَقالَ: إنَّ بَيْنِي وبيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِن نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً. فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لو دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الملَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**» قالَ: فأنْزَلَ اللهُ ﷻ، لا نَدْرِي في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شيءٌ بَلَغَهُ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق من ٦: ١٩]. زَادَ عُبَيْدُ اللهِ في حَدِيثِهِ قالَ: وَأَمَرَهُ بما أَمَرَهُ بهِ. وَزَادَ ابنُ عبدِ الأعْلَىٰ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾، يَعْنِي قَوْمَهُ(١).

عن أبي العباس عبد الله بن عباس ﷺ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: «**يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَىٰ أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لَكَ، وإن**

(١) رواه مسلم.

اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ»[1].

احفظ الله يحفظك: وحفظ الله لعبده نوعين:

* **أحدهما: حفظ الله لعبده في دينه:** وهو أشرفها وأفضلها، فيحفظ عليه دينه وإيمانه في حياته من الشبهات المردية، والبدع المضلة، والشهوات المحرمة.

ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإسلام، وفي حديث عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه علمه أمن يقول: «**اللهُمَّ احْفَظنِي بالإِسْلَامِ قائِمًا، واحْفَظْنِي بالإِسْلَامِ قاعِدًا، واحْفَظنِي بالإِسْلَامِ راقِدًا، ولا تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا ولا حاسِدًا**»[2].

ولابد أن يحفظ العبد حدود الله وحقوقه، وأوامره ونواهيه، فيمتثل لأمره ويجتنب نواهيه، قال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢][3].

ومن أعظم ما يجب حفظه من المأمورات الصلوات الخمس ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال ﷺ: «**خمسُ صلواتٍ افترضَهُنَّ اللهُ على عبادِهِ فمن جاءَ بِهِنَّ لم ينتقِصْ منهنَّ شيئًا استخفافًا بحقِّهنَّ فإنَّ اللهَ جاعلٌ لَه يومَ القيامةِ عَهْدًا أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ ومن جاءَ بِهِنَّ قدِ انتقَصَ منهنَّ شيئًا استخفافًا بحقِّهنَّ لم يَكُن لَه عندَ اللهِ عَهْدٌ إن شاءَ عذَّبَهُ وإن شاءَ غفرَ لَهُ**»[4].

وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة قال ﷺ: «**لا يحافظ على الوضوء**

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان وانظر الصحيحة: ١٥٤٠.

(٣) نور الاقتباس لابن رجب ص: ٤١ بتصرف.

(٤) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له، وأحمد.

إلا مؤمن»[1].

حفظ الأيمان قال تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩]، وكان السلف كثيرًا يحافظون علىٰ الأيمان، فمنهم من كان لا يحلف بالله ألبتة، ومنهم من كان يتورع حتىٰ يكفر عما شك في الحلف فيه، ووصىٰ افمام أحمد عند موته أن يخرج عنه كفارة يمين، وقال: أظن أني حنثت في يمين حلفتها... وقد ورد التشديد العظيم في الحلف الكاذب، ولا يصدر كثرة الحلف بالله إلا من الجهل بالله، وقلة هيبته في الصدور[2].

ومما ينبغي حفظه كذلك الرأس وما وعىٰ والبطن وما حوىٰ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**». قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي والحمد لله، قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعىٰ، والبطن وما حوىٰ، ولتذكر الموت والبلىٰ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء**»[3].

قال المباركفوري في شرح الحديث: قوله: (استحيوا من الله حق الحياء) أي: حياء ثابتًا ولازمًا صادقًا. قال المناوي: وقيل: أي اتقوا الله حق تقاته.

(قلنا: يا رسول الله، إنا نستحي) ولم يقولوا: حق الحياء اعترافًا بالعجز عنه، (والحمد لله) أي: علىٰ توفيقنا به، (قال: ليس ذاك) أي: ليس حق الحياء ما تحسبونه، بل أن يحفظ جميع جوارحه عما لا يرضي، (ولكن الاستحياء من

(١) رواه أحمد والدارمي وابن حبان، «نور الاقتباس لابن رجب ص: ٤٢ بتصرف».
(٢) نور الاقتباس لابن رجب ص: ٤٤ ـ ٤٥ بتصرف.
(٣) رواه الترمذي.

الله حق الحياء أن تحفظ الرأس) أي: عن استعماله في غير طاعة الله، بأن لا تسجد لغيره، ولا تصلي للرياء، ولا تخضع به لغير الله، ولا ترفعه تكبرًا، (وما وعىٰ) أي: جمعه الرأس من اللسان والعين والأذن عما لا يحل استعماله، (وتحفظ البطن) أي: عن أكل الحرام، (وما حوىٰ) أي: ما اتصل اجتماعه به من الفرج والرجلين واليدين والقلب، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف، وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي، بل في مرضاة الله تعالىٰ، (وتتذكر الموت والبلىٰ) بكسر الباء من بلىٰ الشيء إذا صار خَلِقًا متفتتًا يعني: تتذكر صيرورتك في القبر عظامًا بالية، (ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا) فإنهما لا يجتمعان علىٰ وجه الكمال حتىٰ للأقوياء، قاله القاري.

وقال المناوي: لأنهما ضرتان، فمتىٰ أرضيت إحداهما أغضبت الأخرىٰ، (فمن فعل ذلك) أي: جميع ما ذُكر، (فقد استحيا من الله حق الحياء)[1].

وقد جمع الله ذلك كله في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

والعبد مأمور بحفظ فرجه، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال ﷺ: «**مَن يَضْمَن لي ما بيْنَ لَحْيَيْهِ وما بيْنَ رِجْلَيْهِ أضْمَن له الجَنَّةَ**»[2].

* **الثاني: حفظه له في مصالح دنياه:** كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله

---

(١) تحفة الأحوذي: ١٣١/٧. «رواه أحمد والبيهقي، وقال المناوي: قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي، وحسنه الألباني». إسلام ويب رقم الفتوىٰ: ١٩٣٠٢.

(٢) رواه البخاري.

يقول ابن عمر ﷺ: «**لم يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعواتِ حينَ يُمسي، وحينَ يُصبِحُ: اللهم إني أسألُك العافيةَ في الدنيا والآخرةِ، اللهم إني أسألُك العفوَ والعافيةَ في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استرْ عورتي وآمنْ روعاتي، اللهم احفظْني مِن بين يديَّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذُ بعظمتِك أن أُغتالَ مِن تحتي**»[1].

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولده كما قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، إنهما حفظا بصلاح أبيهما، وقال محمد بن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها، والدويرات التي حولها، فما يزالون في حفظ من الله وستر[2].

وكتبت عائشة ﷺ إلىٰ معاوية: إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا.

بتقوىٰ الإله نجا من نجا ❁ وفاز وصار إلىٰ ما رجا
ومن يتق الله يجعل له ❁ كما قال من أمره مخرجا[3]

❁ **احفظ الله تجده تجاهك**: يعني تجد الله ﷻ أمامك يدلك علىٰ كل خير، ويقربك إليه، ويهديك إليه، ويذود عنك كل شر، ولا سيما إذا حفظت الله بالاستعانة به، فإن الإنسان إذا استعان بالله ﷻ وتوكل عليه كان الله حسبه ولا يحتاج إلىٰ أحد بعد الله، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

(١) رواه أبوداود.
(٢) نور الاقتباس لابن رجب ص: ٥١ بتصرف.
(٣) نور الاقتباس لابن رجب ص: ٥٤ بتصرف.

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] ، أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين ، فإذا كان الله حسب الإنسان فإنه لن يناله سوء ولذا قال: «**احفظ الله تجده تجاهك**»[١].

(١) شرح الشيخ ابن عثيمين للأربعين النووية ص (٢٢٣).

فلير عليك

عن مالك بن نضلة الأشجعي ﷺ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! الرجلُ أمرُّ به فلا يَقْريني ولا يضيِّفُني فيمرُّ بي أفأجزيهِ؟ قال: «**لا، اقرِهِ**» قال: ورآني رثَّ الثيابِ فقال: «**هل لك من مالٍ؟**» قلتُ من كلِّ المالِ قد أعطاني اللهُ، من الإبلِ والغنمِ، (وفي رواية النسائي: والخيل والرقيق)، قال: «**فليُرَ عليك**»[1]، وفي رواية النسائي: «**فليُرَ عليك أثرُ نعمةَ اللهِ وكرامتِه**».

يقول ﷺ: «**إن الله يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده**»[2].

وهذا من باب شكر الله تعالىٰ علىٰ نعمته وفضله، لأنه من باب الإقرار بها بشرط عدم الرياء والإسراف وأن يكون مستعينا بعمته تعالىٰ علىٰ طاعته، فلا تشغله عن الطاعة.

قال ﷺ: «**كُلوا واشرَبوا وتَصدَّقوا والْبَسوا ما لم يخالِطْهُ إسرافٌ أو مَخيَلةٌ**»[3].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال مالك بن نضلة الأشجعي ﷺ: فرحت إليه في حلة[4].

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه أحمد.

تطبيق عملي لوصايا الرسول ﷺ من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

قال علي رضي الله عنه[1]:

إِذا كُنتَ في نِعمَةٍ فَارِعَها ❁ فَإِنَّ المعاصي تُزيلُ النِعَم
وَحافِظ عَلَيها بِتَقوىٰ الإِلَهِ ❁ فَإِنَّ الإِلَهَ سَريعُ النِّقَم
فَإِن تَعطِ نَفسَكَ آمالَها ❁ فَعِندَ مُناها يَحِلُّ النَدَم
فَأَينَ القُرونَ وَمَن حَولَهُم ❁ تَفانوا جَميعًا وَرَبّي الحَكَم
وَكُن مُوسِرًا شِئتَ أُو مُعسِرًا ❁ فَلا بُدَّ تَلقىٰ بِدُنياكَ غَمّ
وَدُنياكَ بِالغَمِّ مَقرونَةٌ ❁ فَلا يُقطَع العُمرُ إِلّا بِهَمّ
حَلاوَةُ دُنياكَ مَسمومَةٌ ❁ فَلا تَأكُلِ الشَهدَ إِلّا بِسُمّ
محامِدُ دُنياكَ مَذمومَةٌ ❁ فَلا تَكسَب الحَمدَ إِلّا بِذَم
إِذا تَمَّ أَمرٌ بَدا نَقصُهُ ❁ تَوَقَّ زَوالًا إِذا قيلَ تَمّ
فَكَم آمِنٍ عاشَ في نِعمَةٍ ❁ مِما حَسَّ بِالفَقرِ حَتّىٰ هَجَم
وَكَم قَدَرٍ دَبَّ في غَفلَةٍ ❁ فَلَم يَشعُرِ الناسَ حَتّىٰ هَجَم

البُخل ضد الكرم، والمبخلة: الشيء الذي يحملك على البخل، والبخل: امتناع البذل في كل الوجوه.

والبخل من الأخلاق المذمومة الممقوتة؛ لما فيه من الشح في الإنفاق،

(١) ديوانه ص (١٠٠).

والحرص على كنز الأموال وجمعها، وقد يقود الفرد إلى التظاهر بالفقر خوفًا من الإقراض ومساعدة الآخرين، أو يقوده إلى عدم إكرام الضيف، والنفقة على الأبناء، وهذا قد يؤدي بالأبناء إلى المسألة وتقليد الآباء في ذلك[1].

والبخل قد يكون في المال، وقد يكون في العلم وفي أنماط سلوكية مختلفة.

ومن الأسباب المؤدية للبخل ما يلي:

١ ـ الشح: وهو بخل مع حرص، وقد نهى عليه السلام عن الشح وبين آفاته الوخيمة، فقال ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[2]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

٢ ـ حب المال لذاته: وهذا يدفعه إلى الحرص على جمعه وعدم إنفاقه فيما يجب، وبالقدر والسعة المطلوبة، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، قال الطبري في تفسيرها: تحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرًا شديدًا.

٣ ـ الجهل وعدم العلم بأهمية الإنفاق والكرم: وأنه ينمي المال ويزيد بركته، قال ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، قال ابن كثير في تفسيرها: هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى

(١) مساوئ الأخلاق لخالد الحازمي ص (٩٠) بتصرف.

(٢) رواه مسلم

سبعمائة ضعف. قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «**قال الله ﷻ: يا ابن آدم أنفق، أنفق عليك**»(١). وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**»(٢).

آفات البخل ما يأتي:

١ ـ **إن البخل مضر للبخيل في دينه:** فهو يمنعه من أداء الزكاة والصدقة وإكرام الضيف والجار، وصلة الأرحام، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، أي لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه، بل مضرة عليه في دينه وربما كان في دنياه، ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

ومانع الزكاة يعذب بأبشع العذاب، قال ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني بشدقيه ـ ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك**»(٣).

٢ ـ **إن الشح مهلكة ومدعاة إلى القتل والنهب والسلب:** فبسبب منع الزكاة والعطف على المحتاجين ربما زجت بهم الفاقة إذا لم يكن يردعهم الوازع الديني إلى السلب والنهب والقتل، وبغض ذوي الأموال، وقد حذرنا المصطفى ﷺ منه، وبين لنا مضاره على المجتمع، فقال عليه السلام: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا**

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

(٢) رواه مسلم. «مساوئ الأخلاق لخالد الحازمي ص (٩٠ ـ ٩١) بتصرف».

(٣) رواه البخاري واللفظ له ومسلم، «الزبيبة: نكتة سوداء فوق عين الحية».

دماءهم واستحلوا محارمهم»[1].

٣ ـ إن البخل باب للتلف، والعطاء باب للنماء والزيادة: فقد قال ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[2].

٤ ـ ومن آفاته أن يظهر البخيل بمظهر الفقر والهيئة الرثة: من جراء بخله على نفسه. فقد أمر رسول الله ﷺ الأحوص أن يري أثر ماله، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فرآني سيئ الهيئة، فقال ﷺ: «**هل لك من شي؟**» قال: نعم، من كل المال قد آتاني الله. فقال: «**إذا كان لك مال فلير عليك**»[3].

٥ ـ إن البخل من خصال أهل الكتاب: كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ٣٧]. قال ابن كثير رحمه الله: وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد ﷺ وكتمانهم ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ فوصفهم ببخل العلم، وبخل المال، وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود، وقد ابتلي به طوائف من المنتسبين إلى العلم، فإنهم تارة يكتمونه بخلا به، وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضًا عنه برئاسة، أو مال ويخافون من إظهاره انتقاص رياستهم أو مالهم[4].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه النسائي.

(٤) مساوئ الأخلاق لخالد الحازمي ص (٩١ ـ ٩٣) بتصرف.

التوجيهات التربوية العلاجية من داء البخل:

١ ـ أن يتعوذ الإنسان من البخل: فقد كان يتعوذ منه رسول الله ﷺ وهو من أجود الناس وأكرمهم، فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال**»(١).

٢ ـ أن تقوم المؤسسات التربوية بدورها التعليمي الإرشادي: في بيان أهمية الإنفاق في الإسلام وثوابه وأجره، وأنه من أسباب نماء المال وزيادته وبركته، وأن البخل من الأسباب المؤدية إلىٰ البغضاء والكره والفساد وسفك الدماء والسرقة، وأن وباله وخطره علىٰ البخيل والمجتمع خطير.

٣ ـ أن يجاهد الإنسان نفسه بالإنفاق ويعودها علىٰ العطاء: ويغلب عاطفة الإنفاق علىٰ حب كنز المال، ويدفعها بإرادة قوية، يشدها التطلع إلىٰ جنة عرضها السموات والأرض، «**أنفِقْ بلالُ ولا تَخْشَ مِن ذي العرشِ إقلالًا**»(٢).

٤ ـ أن يؤدي الآباء والأمهات والمربون دورهم التربوي: ويكونوا قدوة للأبناء في الإنفاق دون إسراف.

٥ ـ أن ينظر إلىٰ كرم الصحابة وإيثار بعضهم علىٰ بعض: كما قال تعالىٰ في وصف الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩](٣).

(١) رواه البخاري واللفظ له ومسلم.

(٢) السلسلة الصحيحة: ٢٦٦.

(٣) مساوئ الأخلاق لخالد الحازمي ص: (٩٠ ـ ٩٣) بتصرف.

يا عبد الله

في هذه الأيّام تتجلّي العبوديّة لله تعالىٰ بأوضح معانيها ونستذكر أنّ الله تعالىٰ وصف النبي ﷺ في آية الإسراء التي تتحدّث عن دخوله المسجد الأقصىٰ للمرة الأولىٰ بالعبوديّة وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ووصف الذين دخلوا المسجد في المرة الأولىٰ بأنهم عباد له فقال ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥].

وشعار معركة تحرير المسجد الأقصىٰ من أيدي اليهود القادم كما بينه ﷺ هو العبودية لله تعالىٰ، قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتىٰ يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلَّا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»[1].

فالطريق لتحرير المسجد الأقصىٰ يبدأ بتحقيق العبودية لله تعالىٰ علىٰ حقيقتها من الخضوع له وحده دون سواه، والامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه، ورفض الخضوع لأحدٍ غيره ﷻ.

---

(١) رواه مسلم.

وها هو المسجد الأقصىٰ عندما وقع في براثن الصليبيين الحاقدين؛ فما خلّصه من أيديهم وحرّره من احتلالهم إلّا صلاح الدين الأيوبي الذي كان يتفقد جنده في خيامهم فيجدُ خيمةً يقوم أفرادها الليل فيقول: من هنا يأتي النصر، ويمر علىٰ خيمةٍ وقد نام أفرادها فيقول: من هنا تأتي الهزيمة.

فالحقيقة ساطعة في أن اليهود لا تخيفهم المفاوضات ولا ترعبهم الحوارات، وإنما ترتعد فرائصهم رعبًا من شباب تربّوا علىٰ مبادئ الإيمان وتعاليم القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، ولن يحرر المسجد الأقصىٰ إلا هؤلاء.

إن الصّهاينة يحشدون لدخول ألفي مغتصب صهيونيّ باحات المسجد الأقصىٰ المبارك في الثّامن والعشرين من شهر رمضان المبارك.

وعباد الله تعالىٰ الأطهار يشدّون الرّحال إلىٰ المسجد الأقصىٰ المبارك ويرابطون في ساحاته وباحاته لمنع قطعان المستوطنين من اقتحامه، فهم يقومون بواجبهم علىٰ الوجه الذي طلبه الله تعالىٰ منهم.

والسّؤال اليوم إن كانوا هم قد قاموا بما طلب منهم فما هو المطلوب منّا تجاههم وتجاه المسجد الأقصىٰ المبارك في مواجهة هذا الاقتحام الإجراميّ المزمع؟

إنّ أوجبَ الواجبات علىٰ المسلمين أن يجاهدوا بأنفسهم وأموالهم، فإذا احتل العدو بلدًا من بلادهم وعجز المسلم عن الجهاد بالنّفس، فعليه أن يجاهد بماله.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ

ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأموالكم**»(١).

وما يبذله المسلم من دعمٍ ماليّ لإخوانه المجاهدين المرابطين في المسجد الأقصىٰ المبارك ليس تبرعًا، ولا تطوعًا، ولا تفضّلًا، ولا إحسانًا منه، بل هو قيامٌ ببعض الحقّ الواجب عليه.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وإنّ من أهم الواجبات العمل علىٰ إساءة وجه الصّهاينة وتعرية باطلهم وفضح مخططاتهم عبر وسائل الإعلام أو الحملات في وسائل التواصل الاجتماعيّ، ففيها إساءة لوجه الصّهاينة الغاصبين من جهة وشدّ أزر المرابطين من جهة أخرىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧].

ولا ننس سلاح المؤمن وهو الدعاء لإخواننا بأن ينصرهم الله علىٰ عدو الإسلام والمسلمين.

---

(١) رواه أبوداود.

قال ﷺ: «**لا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي علىٰ الدِّينِ ظاهرينَ لعَدوِّهم قاهرينَ، لا يَضُرُّهم مَن خالَفَهم، إلَّا ما أصابَهم مِن لَأواءَ حتىٰ يَأتيَهم أمْرُ اللهِ وهم كذلك، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وأين هم؟ قال: ببَيتِ المَقدِسِ وأكنافِ بَيتِ المَقدِسِ**»[1].

(١) رواه أحمد.

وقفات مع العيد

۞ الاهتمام بقبول العمل أكثر من العمل!

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾**»[1].

ومع ذلك لم يتحول الخوف ـ لدىٰ هؤلاء ـ إلىٰ هاجس يضعف عن العمل، أو قنوط ووسواس يخالف في مضمونه العشرات من آيات الرجاء في القرآن الكريم.

ألم تسمع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٠].

فالواجب علىٰ المسلم أن يؤمن ـ إيمانًا حقيقيًا يظهر أثره في الجوارح والقلوب ـ بعدل الله وكرمه، وأنه ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملًا، ولا يظلم مثقال ذرة، بل يجازي بالإحسان إحسانًا، وبالإساءة عفوًا وصفحًا وغفرانًا لمن يشاء ﷻ[2].

---

(١) رواه الترمذي، وانظر تفسير القرآن العظيم (١/١٧٦).

(٢) الإسلام سؤال وجواب برقم: ١٥٢٣٠٤.

روي عن علي ﷺ أنه قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل[١].

وكان ينادي فيما روي عنه في آخر ليلة من رمضان: يا ليت شعري من المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه[٢].

غدا توفى النفوس ما كسبت ❦ ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ❦ وإن أساؤوا فبئس ما صنعوا[٣]

العيد: سمي بذلك لأنه يعود كل سنة وهو من العود وهو: الرجوع.

قال ابن تيمية ﷺ: فالعيد اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك[٤].

لنا عيدان فقط: عن أنسٍ قالَ ﷺ قال: قدمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ ولَهم يومانِ يلعبونَ فيهما فقالَ: «**ما هذانِ اليومانِ؟**» قالوا: كنَّا نلعبُ فيهما في الجاهليَّةِ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ قد أبدلَكم بِهما خيرًا منهما يومَ الأضحى ويومَ الفطرِ**»[٥].

العيد الوطني، عيد الأم، عيد العمال: كلها لا أصل لهذا في الدين، بل هي من الأعياد المبتدعة، والدين لم يدعنا لبر الأم أو حفظ حقوق العامل أو حب

(١) لطائف المعارف لابن رجب (٢٣٤).
(٢) لطائف المعارف لابن رجب (٢٥٣).
(٣) لطائف المعارف لابن رجب (٢٣٤).
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٤١).
(٥) رواه أبوداود.

الوطن في يوم واحد فقط ونسيانه في باقي الأيام!

ما يتعلق بالعيد:

أ ـ ما يتعلق بليلة العيد.

ب ـ ما يتعلق بيوم وصلاة العيد.

ت ـ ما يتعلق فيما بعد العيد.

أ ـ ما يتعلق بليلة العيد:

١ ـ حمد الله تعالىٰ وشكره علىٰ إتمام الشهر: قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قال السعدي رحمه الله: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ وهذا ـ والله أعلم ـ لئلا يتوهم متوهم، أن صيام رمضان، يحصل المقصود منه ببعضه، دفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته، ويشكر الله تعالىٰ عند إتمامه علىٰ توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده، وبالتكبير عند انقضائه، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلىٰ فراغ خطبة العيد[١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

٢ ـ يدع عند رؤية هلال شوال: عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا رأىٰ الهِلالَ قال: «**اللهُمَّ أهلَّهُ عَلَيْنَا بِاليُمْنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ**» رواه الترمذي وحسنه، وعند الدارمي بلفظ: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللهُمَّ**

(١) تيسير الكريم الرحمن.

أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ والإيمَانِ، والسَّلامَةِ والإسْلَامِ، والتَّوْفِيقِ لِمَا يُحبُّ ربُّنا ويَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللهُ».

٣ ـ التكبير: قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

يبدأ من غروب شمس ليلة العيد وينتهي عند صلاة العيد(١).

عن ابن عمر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يكبر يوم الفطر من حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلى(٢).

وصيغة التكبير: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد(٣).

وهناك صيغ أخرى وبأي صيغة كبر جاز ولله الحمد.

تكبير النساء سرًا وتكبير الرجال جهرًا(٤).

٤ ـ إخراج زكاة الفطر: من هديه ﷺ إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد، والأصل في وجوبها ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال: فَرَضَ رَسولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ علَى العَبْدِ والحُرِّ، والذَّكَرِ والأُنْثَى، والصَّغِيرِ والكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وأَمَرَ بهَا أنْ تُؤَدَّى قَبْلَ

(١) الشرح الممتع ٥/١٥٧.
(٢) رواه الحاكم والبيهقي.
(٣) رواه ابن أبي شيبة.
(٤) الشرح الممتع ٥/١٥٨.

خُرُوجِ النَّاسِ إلىٰ الصَّلَاةِ.

قدر الصاع: أربع حفنات بكفي رجل معتدل الخلقة، ولا تشترط هذه الأصناف بل يخرج من غالب قوت البلد، وإخراج النقود جائز.

علىٰ من تجب؟: تجب علىٰ من ملك ما يفضل عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته.

يخرج عن من؟: من لزمته فطرة نفسه لزمته فطرة من تلزمه مؤنته من المسلمين.

هل تجب عن الخادم المسلم؟: لا، والمسلم مخير إن شاء أخرج عنه وإلا لم يخرج ويجب إبلاغه بذلك لئلا يخرج عن نفسه.

وقتها: أفضل أوقاتها: يوم العيد قبل الصلاة لقول ابن عمر ﷺ: وأَمَرَ بهَا أنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إلىٰ الصَّلَاةِ[1].

ويجوز تقديمها بيوم أو يومين لقول ابن عمر ﷺ كما في البخاري: كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين.

من أخرها عن وقتها؟

بعذر: تكره وتعد صدقة من الصدقات: قال ابن عباس ﷺ: من أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ فَهيَ زَكاةٌ مقبولةٌ ومن أدَّاها بعدَ الصَّلاةِ فَهيَ صدقةٌ منَ الصَّدقاتِ[2].

بغير عذر: أثم لتأخيره الحق الواجب عن وقته ولزمه القضاء.

---

(١) رواه البخاري (١٥٠٣).

(٢) رواه أبوداود.

الحكمة منها: قال ابن عباس ﷺ: زَكاةَ الفطرِ طُهرةً للصَّائمِ منَ اللَّغوِ والرَّفثِ وطعمةً للمساكينِ[1].وهي إغناء للفقراء في هذا اليوم عن السؤال وإدخال السرور عليهم.

ب ـ ما يتعلق بيوم وصلاة العيد:

الأكل قبل صلاة العيد: عن أنس ﷺ قال: كان لا يخرج يوم الفطر حتىٰ يأكل تمرات ويأكلهن وترًا[2].

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ قال: كان النبيُّ ﷺ لا يخرج يومَ الفطرِ حتىٰ يطعمَ، ولا يطعمُ يومَ الأضحىٰ، حتىٰ يصلي[3].

حكم الصيام في هذا اليوم: حرام، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَىٰ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ، يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ[4].

التجمل ولبس الجديد: عن ابن عباس ﷺ: أن رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يلبس يوم العيد بردة حمراء[5].

أي في بردته خطوط حمراء كالبرود اليمنية[6].ولم تكن حمراء خالصة.

المشي لصلاة العيد: عن ابن عمر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يخرج إلىٰ

---

(١) رواه أبوداود.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) السلسلة الصحيحة: (١٢٧٩).
(٦) زاد المعاد ١/٤٤١.

العيد ماشيا[1].

مخالفة الطريق: عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق[2].

إخراج النساء للمصلى: عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ، قالَتْ: أَمَرَنَا رَسولُ اللهِ ﷺ، أَنْ نُخْرِجَهُنَّ في الفِطْرِ وَالأَضْحَى، العَوَاتِقَ، وَالْحُيَّضَ، وَذَوَاتِ الخُدُورِ، فأَمَّا الحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ، وَيَشْهَدْنَ الخَيْرَ، وَدَعْوَةَ المُسْلِمِينَ، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إحْدَانَا لا يَكونُ لَهَا جِلْبَابٌ، قالَ: «**لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِن جِلْبَابِهَا**»[3].

عن ابن عباس ﷺ قال: كان يأمُرُ بناتِهِ ونساءَهُ أنْ يخرُجْنَ في العيدينِ[4].

مسألة: من يقول إن صلاة المرأة في بيتها أفضل في العيد من صلاتها في المسجد أو المصلى ويستدل بقول الرسول ﷺ: «**لا تَمْنَعُوا إماءَ اللهِ مَساجِدَ اللهِ**»[5].

قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: يستثنى من ذلك الخروج لصلاة العيد فإن الخروج لصلاة العيد للنساء سنّة، لأن النبي ﷺ أمر أن يُخرج العواتق وذوات الخدور، والعواتق: أي الحرائر الشريفات، وذوات الخدور يعني الأبكار التي اعتادت الواحدة منهن أن تبقى في خدرها حتى الحيض أمرهن أن يعتزلن المصلى، لأن مصلى العيد مسجد، ولكن يجب أن تخرج غير متبرّجة بزينة ولا

---

(١) رواه ابن ماجه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه أحمد وابن أبي شيبة.
(٥) متفق عليه.

متطيّبة، بل تخرج بسكينة ووقار وبدون رفع صوت أو ضحك إلىٰ زميلتها وبدون مشية كمشية الرجل بل تكون مشيتها مشية أنثىٰ مشية حياء وخجل ووقار[1].

الابتداء بالصلاة: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ يَومَ الفِطْرِ والأَضْحَىٰ إلىٰ المصَلَّىٰ، فأوَّلُ شيءٍ يَبْدَأُ به الصَّلَاةُ[2].

وقت صلاة العيد: بعد طلوع الشمس قدر رمح إلىٰ زوال الشمس وهو وقت الضحىٰ.

حكمها: سنة مؤكدة علىٰ الفرد وفرض كفاية علىٰ الأمة.

الأذان والإقامة لصلاة العيد: عن جابر بن سمرة ﷺ قال: صَلَّيْتُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ العِيدَيْنِ، غيرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ، بغيرِ أَذَانٍ وَلَا إقَامَةٍ[3].

السنة القبلية والبعدية لصلاة العيد: ليس لصلاة العيد سنة قبلية ولا بعدية، عن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر فصلىٰ ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها[4].

تحية المسجد: الصحيح من كلام أهل العلم أن المسلم يصلي ركعتين تحية المسجد[5].

الخطبة فيها: سنة وهذا باتِّفاقِ المذاهبِ الفقهيَّة الأربعة، إن شاء جلس

---

(١) الشرح الممتع: ٤/٢٠٤.
(٢) رواه البخاري واللفظ له ومسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) الصلاة للطيار ص٣٣٧.

واستمع إليها وإن شاء مضىٰ ولم يجلس، وهي بعد الصلاة لا قبلها.

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ، قال: إنَّ النبيَّ ﷺ قامَ يومَ الفِطرِ، فصلَّىٰ، فبدأ بالصَّلاةِ قبل الخُطبةِ، ثم خطَبَ النَّاسَ، فلمَّا فرَغَ نبيُّ اللهِ ﷺ نزَلَ، وأتىٰ النِّساءَ، فذَكَّرهُنَّ[1].

صفة صلاة العيد: أن يكبر تكبيرة الإحرام ثم يستفتح بدعاء الاستفتاح ثم يكبر بعدها ستًا فتكون سبع تكبي رات، ثم يقرأ الفاتحة وسورة (الأعلىٰ) أو سورة (ق)، ثم يكبر في الثانية خمسًا غير تكبيرة الانتقال فتكون ستًا، ثم يقرأ بعد الفاتحة سورة (الغاشية) أو سورة (القمر)، ثم يكمل الركعتين كغيرها من الصلوات المعتادة لا تختلف عنها شيئًا[2].

أين تقام صلاة العيد؟: مضت سنة النبي ﷺ العملية علىٰ ترك مسجده في صلاة العيدين، وأدائها في المصلىٰ الذي علىٰ باب المدينة الخارجي[3].

فالسنة النبوية التي وردت في الأحاديث الصحيحة دلت علىٰ أن النبي ﷺ كان يصلي العيدين في الصحراء في خارج البلد. وقد استمر العمل علىٰ ذلك في الصدر الأول، ولم يكونوا يصلون العيد في المساجد، إلا إذا كانت ضرورة من مطر ونحوه.

وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم من الأئمة رضوان الله عليهم[4].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الصلاة للطيار ص٣٣٤.

(٣) زاد المعاد لابن القيم ١/٤٤١.

(٤) الإسلام سؤال وجواب رقم: ٤٩٠٥٠.

هل تقام صلاة العيد في البوادي والسفر؟: لا تشرع إقامتها في البوادي والسفر، هكذا جاءت السنة عن رسول الله ﷺ، ولم يحفظ عنه ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم أنهم صلوا صلاة العيد في السفر ولا في البادية.

وقد حج حجة الوداع عليه السلام فلم يصل الجمعة في عرفة وكان ذلك اليوم هو يوم الجمعة، ولم يصل صلاة العيد في منىٰ.

وفي اتباعه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كل الخير والسعادة، والله ولي التوفيق[1].

اجتماع الجمعة والعيد في يوم واحد: المسلم مخير بين صلاة العيد وصلاة الجمعة، وإن صلاهما فهذا أفضل لقول النبي ﷺ: «**قد اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمعون**»[2].

من فاتته صلاة العيد: لا قضاء عليه لأنها سنة مؤكدة، وقد قام بها من حصلت الكفاية به، فإن أحب قضاءها... صلاها علىٰ صفة صلاة العيد بتكبير وهو مخير إن شاء صلاها وحده وإن شاء في جماعة[3].

ولا يصليها إلا في وقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح إلىٰ الزوال.

۞ من أعمال يوم العيد كذلك:

*** التهنئة بالعيد**: عن جبير بن نُفير قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك[4].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز رحمه الله، صلاة العيد لا تقام في البوادي والسفر.

(٢) رواه أبوداود.

(٣) المغني لابن قدامة: ٣/٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٤) فتح الباري لابن حجر بإسناد حسن (٢/٥١٧).

* **اللهو المباح**: عن عائشة ﵂ قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللهِ ﷺ وعِندِي جارِيَتانِ تُغَنِّيانِ بِغِناءِ بُعاثَ، فاضْطَجَعَ علَىٰ الفِراشِ، وحَوَّلَ وجْهَهُ، ودَخَلَ أبو بَكْرٍ، فانْتَهَرَنِي وقالَ: مِزْمارَةُ الشَّيْطانِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فأقْبَلَ عليه رَسولُ اللهِ ﷺ فقالَ: «**دَعْهُما**»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُما فَخَرَجَتا، وكانَ يَومَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودانُ بالدَّرَقِ ـ جمع درقة وهي الترس ـ والحِرابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ، وإمَّا قالَ: «**تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟**» فَقُلتُ: نَعَمْ، فأقامَنِي وراءَهُ، خَدِّي علَىٰ خَدِّهِ، وهو يقولُ: «**دُونَكُمْ يا بَنِي أرْفِدَةَ**» ـ أي تابعوا اللعب وأرفدة لقب للحبشة ـ حتَّىٰ إذا مَلِلْتُ، قالَ: «**حَسْبُكِ؟**» قُلتُ: نَعَمْ، قالَ: «**فاذْهَبِي**»[1].

وفي رواية للبخاري: فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**يا أبَا بَكْرٍ، إنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وهذا عِيدُنَا**».

* **صلة الرحم**: قال ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[2].

* **الصدقة**: عن أبي سعيد ﵁: أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم العيد فيصلي ركعتين ثم يخطب فيأمر بالصدقة فيكون أكثر من يتصدق النساء، فإن كانت له حاجة أو أراد أن يبعث بعثًا تكلم وإلا رجع[3].

* **التوسعة علىٰ الأهل والعيال**: «**دَعْهُما**»، في الحديث السابق.

* **البعد عن المحرمات**: قال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلىٰ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الشيخان.

الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»[1].

جـ ـ ما يتعلق فيما بعد العيد:

صيام ست من شوال: قال ﷺ: **«مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِن شَوَّالٍ، كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ»**[2]، ويفسر بقوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فرمضان عن عشرة أشهر، وصيام ست من شوال عن شهرين، فيكون تمام العام بذلك.

۞ الحرص علىٰ العبادات:

*** الصلاة:** قال ﷺ: **«إنَّ أولَ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ من عملِه صلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أَفْلَحَ وأَنْجَح، وإن فَسَدَتْ فقد خاب وخَسِرَ، فإن انْتَقَص من فريضتِه شيئًا، قال الربُّ ﷻ: انْظُروا هل لعَبْدِي من تَطَوُّعٍ فيُكَمِّلُ بها ما انتَقَص من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِه علىٰ ذلك»**[3].

*** الصيام:** قال ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ، فإنَّه له وِجَاءٌ»**[4].

وفي رمضان صفدت الشياطين، فالحكمة من الصيام تضييق مجرىٰ

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذي وقال: حسن غريب.
(٤) رواه مسلم.

الشيطان وسد وسوسته ولزوم التقوىٰ، «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ**»(١).

قراءة القرآن: قال ﷺ: «**اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ**»(٢).

❊ **أذكار الصباح والمساء وغيرها:** فكما حرصت عليها في شهر رمضان فاستمر بعده، قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه**»(٣).

الاستقامة علىٰ دين الله علز وجل: قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وعن سفيان الثقفي رضي الله عنه قال: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسْلامِ قَوْلًا لا أسْأَلُ عنْه أحَدًا بَعْدَكَ، قالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ باللهِ، ثم اسْتَقِمْ**»(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن ماجه.

(٤) رواه مسلم.

القصد القصد تبلغوا

عن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها (أي عدوها قليلة)، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

* **أولًا**: من هدي النبي ﷺ الاقتصاد في العبادة والمحافظة عليها:

عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ الأعمالِ إلىٰ اللهِ أدْومُها وإن قَلَّ**»(٢).

وعن عَلقمةَ قال: سألتُ أمَّ المؤمنين عائشةَ، قال: قلتُ: يا أُمَّ المؤمنين، كيف كان عمَلُ رسولِ اللهِ ﷺ؟ هل كان يَخصُّ شيئًا مِن الأيَّامِ؟ قالتْ: لا، كان عَمَلُه دِيمةً، وأيُّكم يستطيعُ ما كان رسولُ اللهِ ﷺ يستطيعُ؟! " وكانتْ عائشةُ ﷺ إذا عَمِلَتِ العَملَ لَزِمَتْه(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

(٣) رواه مسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله ـ ﷺ ـ هو الاقتصاد في العبادة(١).

* **ثانيًا**: حذر ﷺ من التعمق والتشدد، فقال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا(٢).

* **ثالثًا**: أخبر ﷺ بأن الدين يسر فقال: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلْجَة**»(٣).

قال النووي رحمه الله: ومعناه استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون بالعبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها فيصل المقصود بغير تعب والله أعلم(٤).

* **رابعًا**: من كسل عن العبادة فليرقد ثم ليعبد الله عز وجل وهو نشيط: عن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل زينب فإذا فترت (كسلت عن القيام)، تعلقت به فقال النبي ﷺ: «**حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**»(٥).

* **خامسًا**: لا تعبد الله وأنت نعسان فلن تفقه شيئا!، قال ﷺ: «**إذا نعس**

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٥/ ٢٧٢.

(٢) رواه مسلم، المتنطعون: المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد.

(٣) رواه البخاري، الغدوة: السير أول النهار، الروحة: آخر النهار، والدلجة: آخر الليل.

(٤) رياض الصالحين ص ٧٦.

(٥) متفق عليه.

أحدكم وهو يصلي فليرقد حتىٰ يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلىٰ وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه»[١].

❊ **سادسًا**: اعلموا أن الله لا يمل حتىٰ تملوا، عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: «**من هذه؟**» قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: «**مه، عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتىٰ تملوا**» وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه[٢]، أي مهما عملت من عمل فإن الله يجازيك عليه فاعمل ما بدا لك فإن الله لا يمل من ثوابك حتىٰ تمل من العمل[٣].

❊ **سابعًا**: احرص علىٰ إثبات عبادتك، قالت عائشة ﵂: وكان إذا عمل عملًا أثبته[٤].

وعن عبد الله عمرو بن العاص ﵄ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»[٥].

قال ابن حجر ﵀: وفيه استحباب الدوام علىٰ ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط، ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة[٦].

❊ **ثامنًا**: كن وسطًا في عبادتك معتدلا تبلغ بإذن الله تعالىٰ غايتك، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن ينجي أحدا منكم عمله**»، قالوا:

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) الإسلام سؤال وجواب برقم: ١٣٦٥٦٦.

(٤) رواه مسلم والنسائي واللفظ له.

(٥) متفق عليه.

(٦) فتح الباري، كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ٣/٤٥.

ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا**»[1]، قال ابن حجر رحمه الله: أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل تبلغوا المنزل الذي هو مقصدك[2].

(١) رواه البخاري.

(٢) فتح الباري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ٢٣/٦٣.

الخاتمة

بعد هذه الجلسات الممتعة مع أولادك، وبعد سرد هذه القصص وبيان ما يستفاد منها، نسأل الله تعالىٰ أن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها المسلمين، وأدعو الله تعالىٰ أن يوفقنا وإياك لأن نكون من المتمسكين بكتاب الله تعالىٰ والمتبعين لهدي رسوله ﷺ، الذين قال الله فيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

والحمدلله أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
احتسبوا أعمالكم	٧
اللهم ارحمني ومحمدًا!	١١
ونستعين الله عليهم!	١٥
فخذ بحقي يا رحمان من ولدي!	١٩
لا أرزأ أحدًا بعدك شيئا !	٢٣
لا كبر سنك!	٢٧
وتلك الأيام نداولها بين الناس !	٣١
واجعله هاديا مهديًا!	٣٩
فأعينوني بقوة.	٤٢
بئسما جزتها!	٤٦
من يمنعك مني ؟!	٥٠
الطخي وجهها !	٥٥
إذا أراد شيئا هيأ له أسبابه!	٦٣
لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه!	٧٤
سبق المفردون!	٧٧
ويل للمصرين!	٨٤
تلاحيا فرفعت !	٨٧

الموضوع	الصفحة

يجمع الشر كله! ٩٣
لفظته الأرض ! ٩٨
لو دنا مني لاختطفته الملائكة ! ١٠٥
فلير عليك ١١١
يا عبد الله ١١٧
وقفات مع العيد ١٢١
القصد القصد تبلغوا ١٣٤
الخاتمة ١٣٨
الفهرس ١٣٩